البحث الخامس عشر

السـيرة النبويـة فـي أدبيات الشيخ أبي الحسن الندويّ

د. محمد حسن الزير (*)

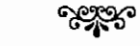

(*) عميد كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض سابقاً والملحق الثقافي السعودي في القاهرة حالياً.

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد:

لا يشك أحد في أهمية تاريخ الإنسان، وأهمية معرفة هذا التاريخ؛ لأنه مستودع خبرته البشرية، وتجاربه بكل ما فيها من خير وشر، وخطأ وصواب، ونجاح وإخفاق، وفكر وعمل؛ ومن هذه الخبرة السابقة يستطيع الإنسان أن يستمد زاداً مفيداً لمواصلة حياته، وتحقيق منجزاته، مستفيداً من دروس ذلك التاريخ وعبره، وجاعلاً من ذلك التاريخ حبلاً محدوداً، تتواصل من خلاله الأجيال والحضارات.

وتأتي الكتابة التاريخية في مقدمة أهم الوسائل، وأكثرها حيوية في الحصول على سجل شامل، أو شبه شامل لأحداث التاريخ الإنساني الماضي، وهذه مسألة يدركها المهتمون بتاريخ الكتابة التاريخية؛ ويشيدون بأهمية العصر الذي استخدم فيه الإنسان موهبة الكتابة، ويقول أحد هؤلاء[1]: «على الرغم من أن البقايا الخالية من الكتابة للإنسان القديم تعد أقيم، وأعظم مصدر نسخت منه معرفتنا عن حياة ذلك الإنسان ونشاطه؛ فإنه لم يمكن التوصل إلى سجل شامل لأحداث الماضي البعيد، إلا في العصر الذي بدأ يفكر فيه الإنسان في أن يضفي على أفكاره، وأفعاله تعبيراً خالداً؛ أي في العصر الذي أتقن فيه الكتابة» [2].

والكتابة تؤدي إلى القراءة، وفي القراءة إعادة اكتشاف لماضي الإنسان، وتحصيل للمعلومات المتنوعة عنه، وهذا يؤدي إلى اكتساب الخبرة، والتعرف على القدرة الحسنة، والارتباط بتجاربها المفيدة؛ وهذا يؤدي بالإنسان إلى مزيد من التقدم إلى الأفضل من خلال الانتفاع بتجارب سابقيه، واستثمار حكمتهم، وخلاصة ممارستهم في الفكر والعمل.

---

(١) هاري إلمر بارنز.

(٢) تاريخ الكتابة التاريخية ص٢٥، ٢٦.

أهمية تاريخ الرسول ﷺ بخاصة:

ويزداد الأمر أهمية إذا كان ذلك تأريخاً لفترة من أزهى عصور التاريخ الإنساني ولسيرة هي أعطر السير وأروعها على الإطلاق؛ أي حين يكون تأريخاً لسيرة أفضل الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

وسيرة الرسول ﷺ، أروع رواية، على حد تعبير الشيخ أبي الحسن عن بلاد تلك السيرة: «.. في بلاد كانت مصدر الإيمان والحنان والعاطفة والوجدان، وفي ربوعها تمثلت أروع رواية من روايات الوفاء والفداء وقوة العاطفة، ولم تزل شعوب العالم تستمد منها هذا الحب الطاهر، والعاطفة الجياشة، وتشعل بها مجامر قلوبها التي تتعرض حيناً بعد حين للانطفاء، وتواجه العواصف الهوجاء» (١).

وتاريخ الرسول ﷺ مصدر لإشعال جذوة الإيمان في قلوب المسلمين، وفي هذا السياق يقول الشيخ أبو الحسن، «والقرآن وسيرة الرسول ﷺ، قوتان عظيمتان، تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي، نار الحماسة والإيمان، وتحدثا في كلِّ وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي، وتجعلا من أمة مستسلمة منخذلة ناعسة، أمة فتية ملتهبة حماسة وغيرة وحنقاً على الجاهلية، وسخطاً على النظم الجائرة.. ولكن بتأثير القرآن والسيرة النبوية، إن وجدا إلى القلب سبيلاً، يحدث صراع بين الإيمان والنفاق، واليقين، والشك..» (٢).

---

(١) الطريق إلى المدينة ص٣.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.. ص٢٧١-٢٧٢.

وسيرة الرسول ﷺ، في حقيقة الأمر ثروة عامة للإنسانية كلها بأجيالها وطبقاتها، تجد فيها النور والقدوة [١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [٢].

ثم إن هذه السيرة العطرة التي كانت نفحة إلهية، ورحمة ربانية للعالمين، جاءت في فترة انحدرت فيها الإنسانية إلى درك منحط، وهذا عنصر مهم من عناصر أهميتها [٣]، فقد استطاعت أن تحدث في تاريخ العرب أعظم تطور عرفوه، وأن تكون لهم النعمة العظيمة، وأن تجعل من النبي ﷺ، رسولاً للعالم أجمع [٤] وجعلت من أولئك العرب الذي أخلصوا في إيمانهم بدينهم ونبيهم، وتفانوا في سبيل ذلك، قادة للإنسانية في ذلك الوقت بجدارة واستحقاق [٥].

الكتابة التاريخية والأدب:

إلى جانب تلك الأهمية للتاريخ من حيث هو تجربة تنطوي على العبرة والقدوة، هناك أهمية أخرى للتجربة التاريخية من حيث هي مادة لغوية مكتوبة، ذات بعد أدبي، وقد عُدَّ التاريخ منذ القديم» فناً وفرعاً من فروع الأدب، ونلمس في الوقت الحاضر زيادة كبيرة مضطردة في عدد الهيئات العلمية التي تعتبر التاريخ في أساسه علماً اجتماعياً يعنى بقدر الإمكان بإعادة بناء الفكر البشري، والنشاط الإنساني في العصور السابقة» [٦].

ومن هنا تأتي أهمية الكتابة اللغوية الأدبية للتاريخ؛ أي من قدرة هذه الكتابة على بعث التجربة التاريخية مرة أخرى، وإتاحة الفرصة لتلك الحياة

(١) انظر: الندوي، السيرة النبوية ص١٤.
(٢) الأحزاب٢١.
(٣) انظر: الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٢٤.
(٤) انظر السابق ص٢٩٥.
(٥) انظر السابق ص٢٩٦.
(٦) هاري إلمر بارنز؛ تاريخ الكتابة التاريخية ص١٧.

الماضية الزاهية المجيدة النافعة، أن تحدث آثارها مرة أخرى في الحياة والأحياء؛ بل ربما كان في الإثارة اللغوية البيانية بما فيها عناصر روحية، وإدراكية، دعم لتلك التجربة التاريخية والتعويض عن عدم معايشتها، في واقعها التاريخي، بسبب أنها أصبحت تجربة مفقودة، بكونها أصبحت من الماضي، ولم يبق منها إلا آثارها المنبعثة من الحديث عنها، وتذكرها؛ فتأتي الإثارة اللغوية الأمينة والجيدة، لتعيد صياغة تلك التجربة التاريخية مرة أخرى، وتهيئ لها الظروف المناسبة، عبر واسطة اللغة؛ لتنبعث في أوساط القرّاء تجربة حيّة محسوسة موحية فاعلة..

ومثل هذا الأثر الأدبي اللغوي في التجربة التاريخية، إنما يكون فاعلاً ومثمراً، حينما يكون الكاتب في التاريخ متمكناً في اللغة، مجيداً لفن الكتابة، بارعاً في استخدامها، مدركاً لأسرارها، متعاملاً مع أساليبها البيانية، في بلاغة وحكمة، وكلما كان الكاتب متفوقاً في أدبيته كانت تجربته في كتابة التاريخ أكثر حيوية وأكثر أثراً؛ لأنه سيكون أكثر قدرة على تصوير الواقع التاريخي، وتمثيل تجربته على الهيئة التي كان عليها ذلك الواقع، أو على الأقل تمثيلاً يقارب ذلك الواقع، حسب الإمكان المتاح، وبهذا تزداد فاعلية التجربة التاريخية، بما فيهامن أدبية، في التأثير على القراء في عواطفهم ومشاعرهم، وتقوية عوامل الاستجابة، والانقياد لمقتضيات التجربة التاريخية في أساسها الواقعي؛ فيتحقق للنص التاريخي فاعلية الأثر المنشود، وتمكين فاعلية القدوة الحسنة في نفوس القرّاء، وسلوكهم أيضاً.

وهذه الفاعلية الأدبية تؤكد حاجة كاتب السيرة التاريخية، للقدرة البلاغية، والأسلوب الجميل، والبيان المعبّر[1].

(١) انظر: د. حسين فوزي النجار؛ التاريخ والسير ص ٨٩ -٩٠، وانظر ص ٥٩ -٦٠.

وإلى جانب الفاعلية اللغوية في الكتابة التاريخية، التي تمنح هذه الكتابة صفة الأدبية، نجد أن السيرة التاريخية لإنسان فذّ قصة تاريخية ولكنها «أحفل من التاريخ العام بالعواطف الزاخرة الجيّاشة، والأحاسيس النابضة، لأنها تعرض من سيرة الفرد لجوانب حياته المختلفة، حتى تتجلى مقومات شخصيته، وتبرز معالم حياته، لتفصح عن سرّ نبوغه، وتفرده، إذ لا تحفل السيّر إلا بكل نابغة فريد، ولهذا كانت كتابة السّيرة أمراً غير يسير، لا يقدر عليها إلا من أربى على قدرة المؤرخ، وإحساس الأديب معاً، فالسيرة ليست سجلاً لحياة فرد من مولده إلى مماته، ولكنها قصة إنسان فذّ، أو متميز بكل ما ينبض به قلب هذا الإنسان من أحاسيس وعواطف» (١).

والمؤرخ لا يغيب عنه إحساسه بالتفاعل المستمر مع الوقائع والأحداث، التي يكتبها، وهو إحساس يغيب عن إدراك عالم الرياضيات أو العلوم الطبيعية نظراً لطبيعة عمل هذا المتصف بالحياد والجفاف (٢)، «ولعل انفعال كاتب السيرة بسيرة من يكتب عنهم هو أقوى صور الانفعال التاريخي؛ ولذلك فإن السيرة كثيراً ما تقترب من سمت الأدب، كما يقترب كاتبها من سمت الأديب» (٣).

(١) د. حسين فوزي النجار؛ التاريخ والسير ص٦١.
(٢) انظر السابق ص٩٠.
(٣) انظر السابق ص٩٠.

الفصل الأول

الشيخ والسيرة

لمحة عن حياته:

هو الشيخ أبو الحسن عليّ بن عبد الحيّ الحَسَني، و«ينتهي نسب هذه الأسرة إلى محمد ذي النفس الزكية، بن عبد الله المحض، بن الحسن (المثنّى) ابن الإمام الحسن السّبط الأكبر بن أمير المؤمنين، سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم؛ لذلك اشتهرت الأسرة بالحسنية، وأول من جاء إلى الهند من أجداد هذه الأسرة هو الأمير السيد قطب الدين محمد المدني (٥٨١-٦٧٧هـ)» [١].

ولد لأبوين صالحين، وأسرة محافظة في ٦/محرم الحرام/ عام ١٣٣٣هـ في مدينة رائي بريلي [٢] في الهند. ونشأ نشأة دينية صالحة في ظل أسرة كريمة متدينة، محبة للعلم، فنشأت معه محبة العلم، وبخاصة أن والده من كبار المؤلفين في عصره، فكان منذ صغره شغوفاً بالقراءة واقتناء الكتب [٣]، وبعد وفاة والده، وهو ابن تسع سنوات وبضعة أشهر، صارت مسؤولية رعايته وتربيته على عاتق أخيه الأكبر، غير الشقيق، الدكتور السيد عبد العلي الحسني [٤]، إلى جانب عناية والدته بمراقبته وتربيته، والاهتمام بتحفيظه السور الكبيرة من القرآن الكريم [٥].

تعلّم الفارسية والإنجليزية والعربية، وقرأ في مطلع حياته المبكرة كتباً قيمة في اللغة الأردية وآدابها[٦]، وتحصّل على ثقافة إسلامية عالية، وأصبح

---

(١) أبو الحسن الندوي؛ في مسيرة الحياة ١/٢٨.
(٢) تبعد عن لكهنؤ ثمانين كيلاً متراً (السابق ١/٤٥).
(٣) انظر السابق ص١/٤٥، ٥٦.
(٤) انظر السابق ص١/٤٢، وانظر ١/٧١.
(٥) انظر السابق ص١/٧٢.
(٦) انظر السابق ص١/٧٨، ٨٠.

مؤلفاً وأستاذاً، وداعية له نشاط واسع في خدمة الإسلام والمسلمين، فكراً وعملاً، ودعوة، وتأليفاً، وتدريساً، ومحاضرة في الهند بخاصة، وفي أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي وغيره بعامة، وكان كثير النشاط والحيوية، ويتضح ذلك من أسفاره، وزياراته لمعظم بلدان العالم للمشاركة في الندوات والمؤتمرات، واللقاءات العلمية والدعوية، في المراكز والجامعات والهيئات الإسلامية وغيرها [١]، وهو رئيس دار العلوم لندوة العلماء، وعضو في المجمع العلمي العربي بدمشق، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، والمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ورئيس هيئة التعليم الديني في الولاية الشمالية في الهند، وله مؤلفات كثيرة باللغة العربية والأردية تتجاوز (١٢٦) عنواناً [٢]، إلى جانب أحاديثه الإذاعية ومحاضراته ومقالاته المتنوعة الثرة.

ولا يزال الشيخ، حفظه الله ومتعه بالصحة والعافية، يواصل مسيرته الدعوية، والعلمية، بهمة وحيوية، في خدمة الإسلام والمسلمين، والاهتمام بقضاياهم وحفز هممهم للعمل من أجل الإسلام والدعوة إليه، وأصبح بذلك شخصية إسلامية مرموقة في جهادها وجهودها، في خدمة الدعوة والعقيدة، وأصبح مضرب المثل في العطاء العلمي والدعوي بلا حدود، أجزل الله له المثوبة والأجر، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

اهتمامه بالعربية

من ميزات الشيخ أبي الحسن الظاهرة إتقانه للعربية؛ بحيث يصبح يتحدث بها كأحد أبنائها المتفوقين بها المتضلعين من آدابها، ولعل الفضل في ذلك يعود، بعد توفيق الله، إلى رعاية أخيه الأكبر الذي تعهده منذ صغره،

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابه (في مسيرة الحياة).

(٢) انظر: سماحة الشيخ الداعية المجاهد أبو الحسن علي الندوي ومؤلفاته العربية؛ إعداد محمد طارق زبير الندوي، نشر مكتبة حراء - لكهنؤ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

ووجهه إلى تعلم العربية، منذ وقت مبكر، وعهد بتدريسه اللغة العربية إلى صديق له من أساتذة اللغة العربية المبرزين، هو الشيخ خليل بن محمد بن حسين بن محسن الأنصاري اليماني البوفالي، الذي كان محاضراً في جامعة لكهنؤ [١]. وقد أقبل أبو الحسن على تعلم العربية بهمة ونشاط متواصل [٢]، يدفعه في هذا السبيل حرص قوي من أستاذه الذي اختار له، ولزميل له مقرراً دراسياً خاصاً، اشتمل على بعض الكتب المصرية، المقررة في مدارسها «الطريقة المبتكرة» (١-٤)، و «مدارج القراءة» (١-٣)، وكتاب «كليلة ودمنة» و«مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع، وألزمهم بالكلام بالعربية بعد أيام قليلة [٣]. ودرس الشيخ أبو الحسن كثيراً من كتب النحو والصرف، ثم درس كتباً قديمة مهمة مثل «نهج البلاغة» و«مقامات الحريري» و«دلائل الإعجاز» و«القصائد العشر» واستفاد من أستاذه الشيخ خليل تذوقه للعربية، ويقول أبو الحسن عن ذلك: «لقد شاهدت في الشيخ ملكة عجيبة في التذوق الصحيح للعربية وآدابها ولغتها، ونقل هذا التذوق إلى الطلاب» [٤] وهكذا استطاع الشيخ أبو الحسن أن يتمكن من لغة القرآن بالدراسة المنهجية والتذوق الأدبي الجماعي، وقد ظهر أثر هذا التمكن في كتاباته ومحاضراته بالعربية؛ حيث قدم كثيراً من المؤلفات العظيمة المحكمة في أسلوبها الأدبي، وتماسك بنائها اللغوي، وحسن أدائها البلاغي، وكان أول كتاب ألفه بالعربية: **«ترجمة السيد أحمد بن عرفان الشهيد»** وكان عمره في ذلك الحين السادسة عشرة، ونشره السيد رشيد رضا بالقاهرة، سنة ١٩٣١م [٥]. ثم توالت كتبه بالعربية بصورة فيّاضة، وعلى هيئة تبعث على الإعجاب والتقدير حقاً؛ لما

(١) انظر: في مسيرة الحياة ٧٧/١.

(٢) بدأ تعلمه للعربية في أواخر عام ١٩٢٤م انظر: في مسيرة الحياة ٧٧/١.

(٣) انظر: في مسيرة الحياة ٧٨/١.

(٤) في مسيرة الحياة ٧٩/١.

(٥) انظر السابق ص١٢٥/١ .

تمتاز به هذه المؤلفات من رصانة وجودة وإحكام في إطار من اللغة الجميلة المواتية ومن أهم تلك المؤلفات:

- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.** وكان فريداً في بابه، وفي طريقة تناول موضوعاته، وقد تلقاه علماء الأمة ومفكروها بالترحاب والتقدير، والتقديم.

- **الصراع بين الفكرة الإسلامية، والفكرة الغربية.** ويرى المؤلف أنه ينبغي أن يعد حلقة ثانية من سلسلة «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»[1] ويراه من أهم مؤلفاته التي تبعث التأمل والتفكير، وأنه جدير بالدراسة والمطالعة [2].

- **إلى الإسلام من جديد**

- **العرب والإسلام.**

- **الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة.**

- **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن.**

- **إذا هبت ريح الإيمان.**

- **روائع إقبال.**

- **مختارات من أدب العرب.**

- **رجال الفكر والدعوة في الإسلام.**

- **نحو التربية الإسلامية الحرة.**

- **قصص النبيين للأطفال.** وقد بدأ المؤلف عمله فيه حوالي ١٩٤٣-١٩٤٤م، والتزم فيه بأربعة أمور: «١- أن تكون ثروة الألفاظ فيه أقل القليل، ولكنها

(١) انظر السابق ص١/٣١٤.
(٢) انظر السابق ص١/٣١٥.

تنقش في ذهن الطالب بكثرة التكرار والإعادة. ٢- أن يكون الكتاب في لغة القرآن، وتوضع الآيات الكريمة في مجالها كالفصّ في الخاتم. ٣- أن يشتمل على تعليم العقائد الأساسية (التوحيد والرسالة والمعاد) وتلقينها للطالب بطريقة عفوية. ٤- أن تُبَسّط القصص، وتُزَوِّد الأطفال بما يكرّه إليهم الكفر والشرك، والمعاصي، وتحبّب إليهم الإيمان والعقيدة، وترسخ فيهم الاعتقاد بعظمة الأنبياء، وجلالة مكانهم، وكل ذلك بطريقة لا يشعر الطالب بثقله، وأنه يلقى عليه، بل يتلقاه ضمناً وعفواً، وينسجم معه»[١].

- **المسلمون في الهند.**

- **المسلمون وقضية فلسطين.**

- **الطريق إلى المدينة.**

- **ربّانيّة لا رهبانيّة.**

- **مذكرات سائح في الشرق العربي.. إلخ.**

وقد لفت أسلوب أبي الحسن العربي النقي، نظر الشيخ الأديب علي الطنطاوي، وذلك قبل أن يتعرف عليه شخصياً؛ فقد كان أسلوب الندوي المتمكن في العربية، مثار عجب الطنطاوي، وتساؤله عن صاحب هذا البيان، ومن ذلك ما قاله في تقديمه لكتاب أبي الحسن «في مسيرة الحياة»: «فقلت من هذا الباحث الهندي الذي يكتب بمثل هذا الأسلوب العربي النقي»[٢] ويقول أيضاً: «كتاب الأستاذ أبي الحسن ليس سرداً لأحداث حياته، ولكنه كتاب تاريخ، وكتاب أدب فيه وصف للأمكنة كأنك تراها»[٣]، وقال أيضاً في

(١) انظر السابق ص١/١٤٥، ١٤٦.
(٢) في مسيرة الحياة ١/١٠.
(٣) السابق ١/٩.

تقديمه لكتاب أبي الحسن «الطريق إلى المدينة»: «لقد كدت أفقد ثقتي بنفسي، ولكني لما قرأت كتابك يا أخي أبا الحسن «الطريق إلى المدينة» أحسست بالشوق يعود ليعتلج بنفسي، فعلمت أن قلبي ما خلا من جوهر الحب، ولكن هموم العيش، وطول الألفة قد غطيا جوهره بالغبار، فأزاح كتابك عن جوهره الغبار، وكدت أفقد ثقتي بالأدب حين لم أجد عند الأدباء هذه النغمة العلوية التي عني بها الشعراء من لدن الشريف الرضي إلى البُرعي، فلما قرأت كتابك وجدتها، وجدتها في نثر هو الشعر إلا أنه بغير نظام. فيا أبا الحسن لك الشكر على أن رددت إليَّ ثقتي بنفسي، وثقتي بأدب لغتي» (١).

كما أثنى على لغته وبيانه المتدفق المفعم بالحيوية والجمال «الشرباصي» في تقديمه لكتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» في قوله: «وقد أفادته هذه المطالعات، والمسامرات - بجوار الهبة والتجربة- قدرة على الارتجال بالعربية، فهو يتدفق كالسيل بلغة بليغة فيها الصور البيانية والتعبير الجميل، وأغلب محاضراته يستعد لها، وكثيراً ما يكتبها. وأسلوبه يغلب عليه العنصر العاطفي الملتهب، ومع ذلك، إذا طرق باب البحث أجاد وأفاد وأمتع أيضاً.. وقد غلب النثر على أبي الحسن، فلم تطاوعه قريحته يوماً على نظم الشعر..» (٢).

اهتمامه بالأدب الإسلامي:

ثمة أمر على جانب كبير من الأهمية، يستحق الإشادة والتنويه هنا، ويأتي في سياق اهتمام أبي الحسن بالدعوة الإسلامية، واللغة العربية وآدابها؛ ذلك هو اهتمامه بالأدب الإسلامي؛ بحيث أصبح لوناً من نشاطات الشيخ الدعوية والأدبية؛ بل يعد الشيخ أبو الحسن من روّاد هذا الميدان، وبخاصة في مجال

(١) الطريق إلى المدينة ص١٠.
(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٢١.

ترسيخ مصطلح «الأدب الإسلامي» وإعطائه مساحة واسعة في نطاق اهتمام الدارسين للأدب ونقاده، وعلى الأخص حين نعلم أن مثل هذا المصطلح لم يكن معروفاً ولا مستخدماً لدى الأسلاف من المهتمين بالدعوة، واستخدام الأدب في ركابها، وإن كان مفهوم المصطلح ومضمونه معروفاً منذ الأيام الأولى لنزول القرآن الكريم، وظهور الإسلام.

وسيذكر للشيخ أبي الحسن، دائماً فضيلة كونه في طليعة أولئك الدعاة والمفكرين الإسلاميين الذين التفتوا إلى حيوية الأدب في التعبير عن الدعوة وحمل مبادئها، والتعبير عن مضامينها، والتفتوا إلى أهمية إيجاد مصطلح يعبّر عن هذه المهمة والوظيفة للأدب، وترسيخ مثل هذا المصطلح في ساحة الأدب والنقد والدراسات الأدبية والنقدية؛ بحث يؤدي ذلك الترسيخ إلى ربط الكلمة الأدبية بوظيفتها الإسلامية، التي ينشدها الإسلام، ويسعى إليها؛ من حيث هي نشاط إنساني إبداعي، ينبغي أن يصدر فيه الإنسان المسلم، عن إيمانه وعقيدته التي يستمدها من القرآن الكريم، والسنّة النبويّة، مثلما يصدر عن ذلك في سائر أنشطته وأعماله.

ولهذا وجدنا الشيخ أبا الحسن أول من نادى بالدعوة إلى الاهتمام بالأدب الإسلامي، واستخدم مصطلح «الأدب الإسلامي» في حديثه في المجمع اللغوي بدمشق عام ١٩٥٦م، وقدّم بحثاً يدعو فيه إلى إقامة أدب إسلامي [1] وذلك قبل أن نجد من يستخدم هذا المصطلح -فيما أعلم- من غيره؛ ولعله كان أسبق إلى ذلك الاستخدام من الأخوين الكريمين؛ سيّد قطب -رحمه الله- ومحمد قطب وفقه الله.

(١) انظر: د. عبد الرحمن رأفت الباشا (رحمه الله) ؛ نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد ص٩٠، ٩١، جامعة الإمام - كلية اللغة العربية - الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

وقد أخذ أبو الحسن على عاتقه العناية بالأدب الإسلامي والاهتمام بقضاياه ومتابعة هذه القضايا؛ حيث عقدت لذلك الندوات والمؤتمرات واللقاءات المتعددة، التي تعنى ببحث هذا الجانب، ودراسة نواحي الأدب الإسلامي من مختلف الزوايا، وكما كان أبو الحسن رائداً في استخدام مصطلح «الأدب الإسلامي» كان رائداً في عقد أول ندوة عالمية للأدب الإسلامي، والدعوة إليها، وذلك بدار العلوم (ندوة العلماء) في لكهنؤ بالهند، وهي ندوة حضرها لفيف من الشخصيات المهمة من البلاد العربية، وكان لها أثر إيجابي في مسيرة الاهتمام بالأدب الإسلامي.

وقد أثمر ذلك الاهتمام إنشاء رابطة للأدب الإسلامي بمعاضدة الدكتور عبدالرحمن رأفت باشا - رحمه الله - وآخرون [١]، وأعد لهذه الرابطة نظام، وأصبحت ترعى الأدب الإسلامي، وتتابع قضاياه، وتعنى بالأدباء الإسلاميين، وأصبح مقرها الرئيس في ندوة العلماء برئاسة الشيخ أبي الحسن الندوي، وصار لها مكاتب فرعية في بقية بلدان العالم الإسلامي، ولا شك في أن الحاجة ماسة إلى العناية بالأدب الإسلامي، وتكريس مفهوم مصطلحه، وتوضيح هذا المفهوم، والحاجة ماسة كذلك إلى تضافر جهود المخلصين لتحقيق أهداف الأدب الإسلامي، ومهامه النبيلة، وقد أشاد الشيخ علي الطنطاوي، باهتمام أبي الحسن بالأدب الإسلامي، وإنشائه لرابطته في قوله: «وأنا أقول هذا هنا لأن أخانا أبا الحسن - فوق عنايته بالدعوة إلى الله، وأنه ركن من أركانها، وعضو من أعضائها، يهتم بالأدب الإسلامي، وقد أنشأ له هو وأخونا الأستاذ عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمة الله عليه - وآخرون، رابطة تربط أهله، تجمعهم وتشد من أزرهم، وتعينهم في أمرهم» [٢].

(١) انظر: في مسيرة الحياة ١٢/١.
(٢) السابق ١٢/١.

علاقته بالسيرة:

كان والد الشيخ أبي الحسن السيد «عبد الحي» رجل علم يصرف جُل وقته «في الكتابة والتأليف، وفي العيادة الطبية، والشؤون الإدارية لندوة العلماء»[١] بل كانت أسرته أسرة علماء ومؤلفين، فبتأثير والده، الذي هو من كبار المؤلفين في عصره، وجدت بيئة علمية تأليفية في هذه الأسرة[٢].

وقد وجد أبو الحسن نفسه منذ وقت مبكر من حياته في جو مفعم بالثقافة الدينية، وبخاصة القرآن، والسنّة، والسيرة النبوية، ووجد نفسه وسط هذه المؤثرات مندفعاً للقراءة، محباً للكتب، منذ صغره، يقتنيها، ويقرأ فيها، وكانت الكتب الصغيرة ذات الصبغة القصصية، التي تستهوي الصغر، وبخاصة من هو في مثل سنه، محط اهتمامه؛ فكان يقرأ «في تلك الفترة كتباً ورسائل صغيرة بالأردية في السيرة النبوية- على صاحبها الصلاة والسلام- فنفذت في القلب والعقل، وقرّت منهما في قرار مكين»[٣] وأصبح وهو في الثامنة من عمره يعقد جلسة في السيرة النبوية للأطفال من أترابه؛ فكان يدعو الأطفال إلى هذه الجلسة، وكان كذلك يدور على بيوتهم واحداً واحداً، لتجميعهم، وكانت تلوث عمامة صغيرة على رأسه، ثم يأخذ كتاباً من مقتنياته عن السيرة، فيقرأ فيه على أولئك الأتراب، وكان والده يتابع هذا النشاط المبكر في سرور وغبطة[٤].

---

(١) السابق ١/٥٦.

(٢) انظر السابق: وانظر حديثه عن أفراد هذه الأسرة ١/٥٥، وما ذكره عن أخته «أمة الله تسنيم التي كانت تعرف في الأسرة بالسيدة عائشة بي» وقال عنها في الحاشية : «وهي سيدة كاتبة أديبة شاعرة، لها سلسلة قصص الأنبياء للأطفال في أردو، وكتاب صغير في السيرة النبوية، وقد نالت ترجمتها لكتاب «رياض الصالحين » للإمام النووي، وقد أسمته «زاد سفر» قبولاً ورواجاً عظيماً، وقرئت على الإذاعة السعودية، تمامها مرتين، وقررت في المقررات الدراسية في عدة مدارس، ونقلت إلى الهندية».

(٣) السابق ١/٥٧.

(٤) انظر السابق ١/٥٧، ٥٨.

وهكذا كانت القراءة في السيرة، والارتباط بها، منذ وقت مبكر، في حياة أبي الحسن، كانت المدرسة الأولى التي نهل من معينها، وتعلم من دروسها، ونفذت إلى قلبه آثارها، وكان إلى جانب نشاطه المبكر نحو السيرة، يحضر مع والده - وهو ابن ست أو سبع سنين، بعض المرات، احتفال دار العلوم (ندوة العلماء) السنوي في السيرة النبوية [١]، ومن ثم شكلت السيرة النبوية عنصراً أساساً في ثقافته، بسبب هذه النشأة [٢]، في هذه البيئة الإسلامية العلمية، التي رعى بداياتها والده - رحمه الله- ثم تابع رعايتها وتوجيهها، في عناية وشفقة الأخ الأكبر لأبي الحسن، بعد وفاة والده، وهو في سن التاسعة، وهو الدكتور السيد عبد العلي الحسني، الذي أخذ على عاتقه، مواصلة تربية أبي الحسن [٣]، مما أتاح له أن يقرأ في صباه «أفضل ما كتب في السيرة النبوية في «أردو» لغة مسلمي الهند، وهي أغنى لغات العالم الإسلامي، بعد اللغة العربية في موضوع السيرة، وهي تحتوي على أقوى وأجمل ما كتب فيها في العصر الأخير [٤]. وكانت لهذه الصلة القوية بكتب السيرة أثرها القوي في ثقافة أبي الحسن، وعقليته، وسيرته [٥].

وكان أخوه السيد عبدالعلي شديد العناية باختيار نوعية الكتب التي يطالعها أبو الحسن في حياته المبكرة، شديد الحرص على أن يكثر أبو الحسن من مطالعة كتب «السيرة النبوية» بخاصة؛ لإدراكه أهمية تأثير السيرة النبوية في تقويم السلوك، وتمكين العقيدة والخلق، وتعميق الإيمان [٦] فكان من أوائل الكتب التي اختارها له، كتاب في السيرة النبوية، هو كتاب «سيرة خير البشر»

(١) انظر السابق ١/٦٠، ٦١.
(٢) انظر: السيرة النبوية ص٣ (مقدمة الكتاب).
(٣) انظر: الطريق إلى المدينة ص١١.
(٤) السابق ص٣، ٤.
(٥) انظر السابق ص٤.
(٦) انظر: الطريق إلى المدينة ص١١.

لمؤلف هندي [١]. وكان لهذه المطالعة أثرها في أن تنشأ في نفس الصبي أبي الحسن محبة كتب السير، والحرص على اقتنائها وقراءتها [٢].

وفي هذا السياق يحدثنا أبو الحسن في كتابه «الطريق إلى المدينة» في مقالة بعنوان «الكتاب الذي لا أنسى فضله» [٣] عن كتاب «سيرة رحمة العالمين» من تأليف القاضي محمد سليمان المنصورفوري، وهو كتاب في السيرة النبوية، ويتحدث عن هذا الكتاب بكلام مفعم بالعاطفة الجيّاشة، والمحبة العميقة، والتأثر الشديد بفاعلية هذا الكتاب فيه، وذلك حين يقول: «أتحدث اليوم عن كتاب كانت منّته - ولا تزال- عظيمة عليّ، وإني دائم الترحم على صاحبه العظيم، الذي أتحفني، عن طريق الكتاب بمنحة هي أغلى الأشياء عندي، بعد الإيمان، بل هو جزء من أجزاء الإيمان، وهو كتاب «سيرة رحمة العالمين» [٤].

ويحدثنا عن قصته العجيبة مع هذا الكتاب، حينما اطلع على عنوانه لأول مرة، وكان كثير النظر في الفهارس، وإعلانات الكتب؛ فأرسل في طلبه، ثم كيف واجه مشكلة عجز ميزانيته الصغيرة، وهو في سن العاشرة أو الحادية عشرة، عن شرائه، ولنترك أبا الحسن، يحدثنا عن ذلك ببيانه العربي المشرق، وتعبيره العفوي الصديق؛ يقول: «ولكن الصغار - خصوصاً في العصر الذي أتحدث عنه - لا يخضعون لقوانين الميزانيات وعلم الاقتصاد، إنما ينساقون مع الغرائز والعواطف.

---

(١) انظر السابق.

(٢) انظر السابق.

(٣) حلقة من سلسلة «الكتب التي عشت فيها» كتبها المؤلف لمجلة البعث الإسلامي، حاشية كتاب «الطريق إلى المدينة» ص١١.

(٤) الطريق إلى المدينة ص١١.

وجاء ساعي البريد، وهو يحمل هذا الكتاب، فيما يحمله من بريد قريتنا الصغير، ورأيتني لا أملك ما أستلم به هذا الكتاب، وأدفع ثمنه، واعتذرت أمي - بارك الله في حياتها[١] - مع حرصها على إرضاء طفلها اليتيم عن دفع النقود، لأنها لم تكن تملكها في ذلك الحين» [٢] ثم يذكر أنه استشفع بدموعه فرقّت له الأم، واجتهدت في دفع قيمة الكتاب [٣].

ثم يحدثنا عن تجربته الحافلة مع قراءة الكتاب، الذي استطاع أن يستثير لديه الشعور باللذة، وأن يستثير لديه كوامن الحب لرسول الله ﷺ يقول: «بدأت أقرأ الكتاب، وبدأ الكتاب يهز قلبي، وليست بهزة عنيفة مزعجة، إنما هي هزة رقيقة، وبدأ قلبي يهتز ويطرب؛ «كما اهتز تحت البارد الغصن الرطب» وهذا هو الفارق بين هزة الكتب التي ألفت في حياة الأبطال والفاتحين الكبار، وبين هزة الكتب التي ألّفت في سيرة الرسول الأعظم ﷺ، فالأولى هزة تغير على القلب، وتزعجه، والثانية تبعث من النفس وتريحها.

وبدأت تتجاوب نفسي لهذا الكتاب وتسيغه كأنما كانت منه على ميعاد، وشعرت في أثناء قراءتي لهذا بلذة غريبة، إنها لذة تختلف عن جميع اللذات التي عرفتها في صغري - ولم أزل مرهف الحس قوي الشعور- فلا هي لذة الطعام الشهي، ولا هي لذة اللباس الجديد في يوم العيد، ولا هي لذة اللعب، في حين الشوق إليها، ولا هي لذة العطلة والفراغ بعد الدراسة المضنية والاشتغال المرهق، ولا هي لذة الانتصار والظفر في المباراة، ولا هي لذة زيارة صديق قديم، أو زائر كريم، إنها لا تشبه لذة من هذه اللذات، إنها لذة أعرف طعمها، ولا أستطيع وصفها بدقة، وأعبّر عنها بكلمة، إن غاية ما أستطيع أن

(١) جاء في الحاشية ص١٢: «توفيت بعد كتابة هذا المقال لست خلون من جمادى الآخرة ١٣٨٨هـ، وكانت رحمة الله عليها، من فضليات النساء، تحفظ القرآن، وتقول الشعر، ولها عدة مؤلفات ومجموع شعر».

(٢) الطريق إلى المدينة ص١٢، ١٣.

(٣) انظر السابق.

أقول: إنها لذة الروح، وهل الأطفال لا يحملون الأرواح ؟ أو لا يشعرون باللذة الروحية ؟ بلى والله! إن الأطفال أشف روحاً، وأصح شعوراً، وإن عجزوا عن التعبير.

كنت أقرأ في هذا الكتاب المعجب المطرب خبر من كان يسلم من قريش، فتنهال عليه أنواع العذاب، فكان يحتمل كل ذلك في ثبات وصبر، بل في لذة وسرور، فكنت أشعر بأن هناك لذة لا يعرفها كثير من الأغنياء والأقوياء، وكثير ممن يعدون في الحياة سعداء، وهو أن تضرب على الحق، وتضطهد في عقيدة، وتهان في سبيل الدعوة، وأن هذه اللذة لا تعدلها لذة القوة والظفر والحكم، ورأيت أن نفسي تتمنى أن تسعد بهذه اللذة، وبهذه الكرامة ولو مرة في العمر» (١).

ثم يذكر أنه قرأ قصة «مصعب بن عمير» ذلك الفتى القرشي المترف الذي آثر لذة الإيمان مع التخشن والتقشف، على حياة الترف الناعم مع الكفر، وقرأ قصة الهجرة النبوية، التي لم يعرف أنه قرأ» قصة أكثر تأثيراً وأجمل تصويراً من هذه القصة» (٢)، وقرأ قصة «أُحد» تلك القصة التي يقول عنها أبو الحسن: «قصة لم يعرف التاريخ أعظم منها، وأغرب منها، وأجمل منها، في الوفاء والإخلاص والبطولة، والإيمان واليقين والخلق الكريم، وقد هزّني قول أنس بن النضر- رضي الله عنه- للذين جلسوا وألقوا بأيديهم وقالوا: قتل رسول الله ﷺ قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟! موتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ» (٣) ثم يذكر ألواناً من صور ذلك الحب والتفاني في تعبير شائق جميل، ثم يقول: «وهكذا أتابع قراءتي لهذا الكتاب، وقد يغلبني البكاء فأبكي، وقد يملكني السرور والطرب فأطرب. إن الحسنة التي لا

(١) السابق ص١٣ وما بعدها. وهو يسترسل في تصوير انفعاله بقراءة هذا الكتاب.
(٢) الندوي - الطريق إلى المدينة ص ١٦ ، ١٧.
(٣) الطريق إلى المدينة ص ١٦، ١٧.

أنساها لهذا الكتاب، وصاحبه المخلص، أنه أثار في قلبي كامن الحب الذي لا لذة في الحياة بغيره، ولا قيمة للحياة بغيره، وقد صدق الشاعر الفارسي [١] حيث قال: «قاتل الله ذلك اليوم الذي مضى ولم أذق فيه لذة الحب، ولا بارك الله في الساعة التي مضت ولم تهب فيها نفحة من نفحات الحب، وسحقاً للحياة، إذا قضيتها كلها في تحكيم للعقل والخضوع للمنطق».

ثم يقول: «هذا هو الحب» الذي كان أعظم الطبقات إفلاساً فيه، الطبقة العصرية المتعلمة في هذه الأمة، فكانت أجوفها روحاً، وأضعفها مقاومة، وأخفها وزناً، وأكدرها حياة، وأضلها عملاً. وشكراً لهذا الكتاب وصاحبه، لأنه أثار في نفسي كامن الحب وحرّكه، وشكراً على أنه وجّه هذا الحب المنبعث المتحرك إلى من يستحقه بما فطر عليه من معاني الحسن والإحسان، ومعجزات الجمال والكمال، الذي لم يخلق الله في هذا الكون- وهو الخلاّق المبدع - أجمل منه سيرة وصورة، وأقوم خَلْقاً وخُلُقاً ﷺ.

«إن مصيبة هذه الأمة البائسة أنها قطعت صلتها عن القلب، وحُرِمَت لِذَة الحُبِّ، وَقَد صدقَ شاعرُ الإسلامِ» «محمد إقبال» إذ قال: «إن كارثة المسلمين في هذا العصر، أنهم يحملون القلوب، ولا يعرفون المحبوب، أنهم يملكون مادة الحب، ولا يعرفون من يشغلونها به، ويوجهونها إليه» .

«سلام عليك يا سليمان! لقد وجدت في كتابك نعمتين، لا أعدل بهما نعمة، بعد نعمة الإسلام، إنما هي نعمة الحب الطاهر، ونعمة هدفه الصحيح، ويا لهما من نعمة» [٢].

لقد آثرت أن أنقل هنا كثيراً من هذه المقالة - وكنت أود لو نقلتها كاملة بدل اختصار بعضها-، لأنها كتبت بلغة معبّرة تفيض بنغمة شاعرية من ناحية،

(١) هو شاعر الفارسية البارع الآية خسرو (انظر: حاشية كتاب الطريق إلى المدينة). ص ١٨.
(٢) أبو الحسن الندوي؛ الطريق إلى المدينة ص١١-٢٠.

ومفعمة بالصدق والتلقائية والانفعالية العميقة بأحداث السيرة، والتأثر البالغ الذي قد أصاب نفس هذا الإنسان في تلك المرحلة المبكرة من حياته وطفولته، ورأيت أن هذه المقالة أكثر قدرة وحيوية في التعبير عن العلاقة الحميمة، التي ربطت أبا الحسن بالسيرة، وصيّرت منها مدرسته الأولى في تعلم الإسلام؛ بل وفي تذوقه. وقد استطاعت هذه المقالة بأسلوبها البياني الراقي، أن تصور خفقات الحب ولواعج الشوق، لهذا الرسول الكريم، عليه الصلاة والسلام، لدى أبي الحسن، منذ نعومة أظفاره؛ لقد رأيت أن هذه المقالة، على الرغم من طولها النسبي، جديرة بأن ينقل منها -إن لم تنقل بكاملها- وأن تقرأ، وأنها خير من يعبّر عن هذا الموقف القلبي، الذي وجد الندوي نفسه فيه، وهو يتلقى نبأ سيرة الرسول ﷺ في مطلع حياته، وفي مطلع مطالعاته لهذه السيرة الشريفة، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وهكذا كانت قراءته الأولى، في السيرة عن طريق رسائل وكتب باللغة الأردية، قبل أن يتعلم العربية، وكانت ذات أهمية بالغة في توجيهه نحو التعلق بالسيرة، وكانت القبس الأول، الذي أضاء جوانب نفسه، بحب الرسول والرسالة، وكانت البوابة للانطلاق إلى عوالم السيرة النبوية، التي أصبحت أساس انطلاق حركته الدعوية والفكرية المستمرة، ولكنه بعد أن عرف العربية، وأتقنها، قراءة وحديثاً، توجه إلى كتب السيرة النبوية المكتوبة باللغة العربية، وعكف عليها، يدرسها، ويعيش في ظلالها، ويستروح نسمات الروح فيها، ويتذوق عن طريقها حلاوة الإيمان، ويذكي في نفسه عاطفة الحب والحنان[1]؛ فدرس السيرة في العربية، في كتب كثيرة، تأتي في طليعتها، «السيرة النبوية» لابن هشام، و«زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية، ودرس هذين الكتابين بعناية واهتمام وتذوق، ثم واصل قراءته في كل ما يصل إلى يديه من

(١) انظر: الندوي؛ السيرة النبوية ص٤.

كتب السيرة مما ألف في هذا المجال قديماً وحديثاً، متجاوزاً في ذلك اللغتين الأردية والعربية، إلى لغات مختلفة أخرى [١].

انفعاله بالسيرة ونظرته إليها:

أتيح لأبي الحسن الندوي، أن يدخل مبكراً إلى عالم السيرة النبوية الحافل بالإثارة والحيوية، وذلك منذ نعومة أظفاره؛ بسبب الجو الديني الذي نشأ فيه، وكون السيرة النبوية عنصراً أساساً في ثقافة أبناء أسرته، ووجود كتب ميسرة شعراً ونثراً في موضوع السيرة، ثم بسبب تربية أخيه الأكبر السيد عبد العلي الحسني، الذي حرص على توجيه أخيه الأصغر منذ البداية، إلى قراءة كتب السيرة باللغة الأردية [٢]. وكان لهذا الدخول المبكر إلى هذا العالم الرياني المعجب، أثره البالغ العمق في نفس أبي الحسن؛ فقد وجد هذا الطفل نفسه، يعيش في عالم يموج بحياة تنبض بأحداث، وشخصيات، ومواقف، ذات أبعاد عميقة، في استثارة كوامن مشاعر النفس، وانفعالاتها، وتجاوبها مع تلك الأحداث والشخصيات والمواقف. وجد نفسه يتغذى بكل ما في السيرة من ذلك كله، ويعيش في تلك الرحاب النبوية، ويتذوق حلاة الإيمان ويغذي وجدانه، ويذكي عاطفة الحب والحنان، بما فيها من القصص والأخبار [٣].

نعم، لقد أتيح لأبي الحسن ظروف مناسبة، هيأت له أن يعيش مع السيرة، وأن ينفعل بها، وأن يستمر معه هذا الانفعال الواعي المتزن طوال مشوار حياته الدعوية والتأليفية، وأن يبرز أثر هذا الانفعال في كل كتاباته، ونشاطاته الفكرية تجاه الإسلام.

---

(١) انظر السابق.

(٢) انظر السابق ص٣.

(٣) انظر السابق ص٤، وانظر ما كتبه في مقاله الكتاب «الذي لا أنسى فضله» في كتابه «الطريق إلى المدينة» ص١١-٢٠ وقد تحدث فيه عن أثر كتاب «سيرة رحمة للعالمين» وأنه وجد فيه لذة الروح وأحيا فيه كامن الحب، وهو يقرأ في أحداث حياة الرسول ﷺ وقصص صحابته، من مثل قصة مصعب بن عمير، وقصة الهجرة النبوية، وقصة أحد... إلخ.

ولعل مما زاد في درجة إحساسه العاطفي الوجداني بالسيرة وصاحبها، عليه الصلاة والسلام، زياراته الميدانية، إلى الأرض التي عاش فيها الرسول ﷺ، وشهدت فصول حياته الشريفة في مكة والمدينة، وما بينهما، وما حولهما، وشاهد تلك المواطن، وتعرّف على طبيعتها الجغرافية والمناخية.

ولا شكَّ في أن سيرة الرسول ﷺ، جديرة بأن ينفعل بها كل إنسان أتيح له أن يعيش في ظلالها، وحَرِيَّةٌ بأن يكون لها وقعها العميق على وجدانه، وأن تستثير لديه كوامن الأشواق، وأرق العواطف؛ بكل ما فيها من روعة وجمال، ودروس وعبر وقيم؛ فهي الرواية الأروع والأجمل، التي تتضاءل إزاءها كل سير العظماء والنبلاء، وقد عبّر أبو الحسن الندوي عن مثل هذه النظرة لديه، وهو يتحدث في كتابه «السيرة النبوية» عن استحالة التمكن من تصوير جوانب سيرة الرسول ﷺ، بكل كمالاتها وتنوّع جوانبها [١].

وينظر أبو الحسن إلى السيرة من حيث تميزها بدقتها وشمولها، واستيعابها لدقائق الحياة، ويصّور ذلك، في تعبير يكشف عن مقدار ما تنبض به روحه من عواطف الحب، وانفعالات الإيمان الواعي تجاه الرسول الكريم ﷺ، وينوه بفضل علم الحديث، الذي لا مثيل له في التاريخ، وكتب السير والشمائل، وما حفظ وجمع من أدعية ومناجاة وجوامع كلم الرسول ﷺ، وما أثر عن وصافي الرسول ﷺ الحاذقين، بفضل ذلك في تقديم سيرة النبي ﷺ، على تلك الهيئة المتفردة في دقتها، واستيعابها، وجمالها [٢].

لقد كان أبو الحسن الندوي، شديد التعلق بالسيرة النبوية، قوي العاطفة تجاهها؛ من حيث هي أروع رواية من روايات الوفاء والفداء، وقوة العاطفة - كما جاء في تعبيره- وكان موطنها مصدر الإيمان والحنان، والعاطفة

(١) انظر: الندوي؛ السيرة النبوية ص١٣، ١٤، وانظر ص ٦.
(٢) انظر السابق ص١٢-١٣.

والوجدان، ويسترسل في تعبيره عن ذلك: «ولم تزل شعوب العالم الإسلامي، تستمد منها هذا الحب الطاهر، وهذه العاطفة الجيّاشة، وتشعل بها مجامر قلوبها، التي تتعرض حيناً بعد حين للانطفاء، وتواجه العواصف الهوجاء»[١].

بل إن أبا الحسن، وقد أفزعه ضعف العاطفة في بعض بلاد المسلمين، وضعف صلتهم الروحية وعاطفتهم بالنبي ﷺ، وهو أمر خطير؛ أدت إليه عوامل ودعوات، رأى أنها أنضبت منابع الحب، وأصابت -على حد قوله-: «النفوس بجفاف في الشعور والتفكير، سرى ذلك في الأدب والشعر، وتعدى إلى الدين ومظاهره» [٢] وحين هاله ذلك أراد مهاجمة هذا التيار، وأن يواجهه بما يعيد إثارة الحب الكامن في قلب كل مسلم، وتغذية عاطفته، ووجد أن خير ما يحقق ذلك، ويستطيع تغذية تلك العواطف وتنميتها، إنما هو سيرة الرسول ﷺ وحياته؛ فعمد لهذا الغرض، إلى جمع «ما كتب من مقالات، وما ألقى من محاضرات، وأحاديث، في خلال هذه السنوات، وهي انطباعات عن هذه الشخصية الحبيبة، وسيرتها وحياتها، وعرض سريع لما قد تغنى به الشعراء، والمحبون في ديار العجم» [٣] وقد أسمى هذه المجموعة «الطريق إلى المدينة»؛ لأنه يرى أنها «تمهد الطريق إلى هذه المدينة، وتبعث الأشواق إليها، وإلى منوّرها عليه ألف ألف سلام» [٤].

وبسبب عاطفة أبي الحسن المشبوبة، وتعلقه بحب رسول الله ﷺ، يجد أن للحديث عن الحجاز لوناً خاصاً؛ لأنه يدور حول رجل عظيم، ويتصل برسالته وتاريخه؛ فإنه حديث عن مهد الإسلام، وبلد الرسول ﷺ [٥].

---

(١) الندوي؛ الطريق إلى المدينة، المقدمة ص٣ .

(٢) السابق ص٣ .

(٣) السابق ص٤.

(٤) السابق ص٤ وأشار إلى أنه قد اقتبس فكرة الكتاب من تسمية «محمد أسد» لكتابه «الطريق إلى مكة».

(٥) انظر: الطرق إلى المدينة ص٧٤ .

ويسبب تلك العاطفة المتأججة، صار لكتابته في السيرة، وعن السيرة أثرها البالغ في نفوس قرّائه، وأصبح لكتابته قوتها في استثارة العواطف، وإحياء تفاعل روح القارئ مع الأصداء الشجية، التي تطلقها عباراته وتصويره، في التعبير عن السيرة النبوية، وقد عبّر عن هذا الإحساس أديب العربية وشيخها، فضيلة الشيخ علي الطنطاوي، وهو يقدم لكتاب أبي الحسن «الطريق إلى المدينة» حين قال: «يا أخي الأستاذ أبا الحسن! تقول العامة عندنا في الشام: (المكتوب يعرف من عنوانه) ولقد هزّني عنوان كتابك، قبل أن أفتح الكتاب (الطريق إلى المدينة)».

لقد أحسست أنه أعاد لي ثلاثاً وثلاثين مرحلة في طريق العمر، لقد ردني إلى الوراء ثلاثاً وثلاثين مرحلة في طريق العمر، لقد ردني إلى الوراء ثلث قرن كامل، فرأيتني وأنا في البادية، بادية الحجاز، وقد مرّت عليّ وعلى صحبي فيها خمسون يوماً، تتلظى من فوقنا شمسها، وتتضرم من تحتنا رمالها، ترفعنا أكمة، لتلقفنا قفرة، يحرقنا العطش، ويروعنا الضلال، وقد تجمعت آمالنا كلها وأمانينا في أمل واحد، وأمنية مفردة، هي أن نرى المدينة» [1] ثم يسترسل في وصف رحلتهم الأولى تلك إلى المدينة، وما مسّهم فيها من عناء وخوف وجوع، ثم كيف تحول عذابهم ذلك إلى راحة وهناء وسعادة، حين زف إليهم دليل الرحلة البشرى بلقاء المدينة، وهو يقول: (هذا أُحُد) فتنبعث فيهم الحياة، فتنطلق ألسنتهم، وتخفق قلوبهم، وتهطل دموعهم حباً وشوقاً، ثم يتساءل؛ لماذا هو، بعد أكثر من ثلاثين سنة، من ذلك الموقف، لم يعد يحس ذلك الشوق، ولا يشعر بمثل تلك الفرحة؛ أهو طول المقام؟! أم هو اختصار مسافة المكان والزمان [2] ؟! ثم يقول: «لقد كدت أفقد ثقتي بنفسي، ولكني لما

(١) الطنطاوي ؛ تقديم كتاب «الطريق إلى المدينة» ص٧-١٠.
(٢) انظر السابق.

قرأت كتابك، يا أخي أبا الحسن «الطريق إلى المدينة» أحسست بالشوق يعود، فيعتلج بنفسي، فعلمت أن قلبي ما خلا من جوهر الحب، ولكن هموم العيش، وطول الألفة قد غطيا جوهره بالغبار، فأزاح كتابك عن جوهره الغبار».

«وكدت أفقد ثقتي بالأدب حين لم أعد أجد عند الأدباء هذه النغمة العلوية، التي غنّى بها الشعراء، من لدن الشريف الرضي، إلى البرعي، فلما قرأت كتابك، وجدتها، وجدتها في نثر هو الشعر؛ إلا أنه بغير نظام، فيا أبا الحسن لك الشكر على أن رددت إليّ ثقتي بنفسي، وثقتي بأدب لغتي..»[1].

السيرة هي المادة الأولى لكتاباته ومحاضراته:

لقد كانت تلك العاطفة القوية، التي يعيش بها الشيخ أبو الحسن، تجاه السيرة النبوية، بسبب نشأته التي تربى فيها، منذ نعومة أظفاره، على دروس السيرة وعظاتها البليغة، كانت عاملاً قوياً في توجيه حياته الفكرية، وصبغها بطابع التأثر البالغ بتلك السيرة؛ بحيث أصبحت مادة كتاباته ومحاضراته الأساس، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وأصبح تفكيره متعلقاً بتلك السيرة، ومنطلقاً منها في توجهاته وتوجيهاته، وصارت السيرة النبوية موضوعاً محورياً في نتاجه الفكري، تشيع في أرجائه، وتشع بنورها، في مباحثه، وقضاياه الجزئية والكلية، سافرة أحياناً ومتوارية أحياناً أخرى، حسب الموضوع، وطريقة تناوله.

ولا عجب أن يكون ذلك شأن أبي الحسن، وهو الداعية لهذا الدين، الذي يقوم في أساسه على القرآن الكريم، والسيرة النبوية الكريمة، ثم إنه يرى أنهما القوتان العظيمتان القادرتان على التأثير البالغ؛ فهو يقول: «والقرآن وسيرة محمد ﷺ قوتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي

(١) الطنطاوي؛ تقديم الطريق إلى المدينة ص١٠.

نار الحماسة والإيمان، وتحدثا في كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي، وتجعلا من أمة مستسلمة منخذلة ناعسة، أمة فتية ملتهبة حماسة وغيرة وحنقاً على الجاهلية، وسخطاً على النظم الجائرة..».

«ولكن بتأثير القرآن والسيرة النبوية، إن وجدا إلى القلب سبيلاً، يحدث صراع بين الإيمان والنفاق، واليقين والشك..» (١).

والشيخ أبو الحسن -وهو يهدف من كتاباته الإسلامية، أن يعيد المسلمين إلى إسلامهم، وأن يعيد ثقتهم بأنفسهم وبدينهم- يعمد دائماً إلى التأكيد على فاعلية دين الإسلام، وأهميته للإنسانية كلها، وهو ينطلق في كل ذلك من فهم عميق لروح الإسلام، وهذه مسألة يدركها كل من قرأ بعناية كتابات الشيخ، ومن هؤلاء الكاتب الإسلامي «سيد قطب» رحمه الله، الذي قال في تقدمة كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»: «وأخيراً فإن الخصيصة البارزة في هذا الكتاب كله، هي الفهم العميق لكليات الروح الإسلامية في محيطها الشامل، وهو لهذا لا يعد نموذجاً للبحث الديني والاجتماعي فحسب؛ بل نموذجاً كذلك للتاريخ كما ينبغي أن يكتب من الزاوية الإسلامية» (٢).

أجزاء من السيرة في مؤلفاته:

لما كانت السيرة النبوية مادة أساس، وأوليّة لنتاج الشيخ أبي الحسن الندوي، وجدنا أجزاء من السيرة تنبث في نشاطه الفكري، والتأليفي، في كتبه ومحاضراته، ومقالاته المكتوبة أو المذاعة.

وهذا جانب على قدر من الأهمية في بحث السيرة في أدبيات أبي الحسن، ويحتاج للوفاء بحقه، أن يتم تتبعه في جميع نتاج الندوي الفكري

(١) الندوي؛ ماذا خسر العالم ص٢٧١.
(٢) سيد قطب، ماذا خسر العالم... ص١٥.

والتأليفي في كل كتاباته، وهو جدير ببحث مطول مستقل؛ لتحقيق الدقة والاستقصاء، والشمول، ومن ثم تناوله بالدراسة والتحليل، ولا شك في أن مثل هذا العمل، يتطلب وقتاً، لا يسمح به المجال المتاح حالياً في مثل هذه العجالة العامة.

ولكن هذا لا يمنع من إلقاء ضوء سريع على أمثلة من تناول السيرة، أو أجزاء منها، في بعض مؤلفات الشيخ الندوي، تكون نموذجاً، يعطي صورة ما، عن هذا الجانب. وبيان ذلك فيما يلي:

١- من أهم مؤلفات الشيخ أبي الحسن، التي كتبها بالعربية كتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» [١]. وهو من خير الأمثلة، التي تكشف مدى تغلغل فاعلية سيرة النبي ﷺ، ورسالته في تفكير أبي الحسن، في الحضارة، ونظرته إلى مسيرة الإنسانية، وما تعانيه من انحطاط، وخسران بسبب انحطاط المسلمين، وماذا تربحه الإنسانية والمدنية برقيهم ونهضتهم، وقد كان يرى -دائماً- أن ذروة رقي الإنسانية، ونهضتها، هو ذلك العهد الزاهي الزاهر، عهد الرسول ﷺ، وعهد صحابته، وكان ذلك الكتاب صدى لهذه الرؤية العميقة في نفسه، وقد عبر صراحة عن ذلك بقوله: «في تلك الفترة نفسها (لعلها عام ١٩٤٤) شعرت في نفسي برغبة غامضة ملحّة لم أستطع أن أغالبها في تأليف كتاب يتحدث عن: ماذا خسر النوع البشري بانحطاط المسلمين، وماذا ربح العالم والمدنية والشعوب والأمم برقيهم ونهضتهم..

وقد غلب هذا الموضوع على تفكيري ومشاعري، وأخذ عليّ مجامع قلبي، حتى أن تكون الكتابة بالعربية..» [٢].

---

(١) كانت طبعته الأولى عام ١٩٥٠ في القاهرة، وقامت بها لجنة التأليف والترجمة والنشر، ثم توالت طبعاته العديدة. وترجم إلى الإنجليزية باسم Islam and the Word وترجم كذلك إلى الأردية، والفارسية، والتركية.

(٢) الندوي؛ في مسيرة الحياة ١/١٧٤، ١٧٥.

ولهذا وجدنا هذا الكتاب الرائع يتحول في أجزاء من أبوابه، وفصوله إلى مباحث ودراسات تحليلية في سيرة الرسول ﷺ وتجربة المسلمين في أخذهم بالإسلام في عهده.

ووجدناه في الباب الأول يدرس العصر الجاهلي، وفي الفصل الأول يصور احتضار الإنسانية، وفي هذا يقول: «كان القرن السادس والسابع (لميلاد المسيح) من أحط أدوار التاريخ بلا خلاف، فكانت الإنسانية متدلية منحدرة منذ قرون، وما على وجه الأرض قوة تمسك بيدها وتمنعها من الرّدى، فقد زادتها الأيام سرعة في هبوطها، وشدة إسفافها، وكان الإنسان في هذا القرن قد نسي خالقه، فنسي نفسه ومصيره، وفقد رشده، وقوة التمييز بين الخير والشر، والحسن والقبيح، وقد خفتت دعوة الأنبياء من زمن، والمصابيح التي أوقدوها قد انطفأت من العواصف التي هبت بعدهم، أو بقيت ونورها ضعيف ضئيل لا ينير إلا بعض القلوب، فضلاً عن البيوت، فضلاً عن البلاد» [١] ثم يستعرض في الفصل الثاني (النظام السياسي والمالي في العصر الجاهلي)[٢] عدة أبحاث عن صورة الحياة الجاهلية قبل الإسلام، تمهيداً للحديث عن انتقال الإنسان من الجاهلية إلى الإسلام، والحديث عن الدعوة إلى الإسلام، التي جاء بها النبي ﷺ، وإدراك أهل الجاهلية أن هذه الدعوة تعني أنها سهم يسدد إلى كبد الجاهلية» [٣].

ثم جاء الباب الثاني ليتناول الرحلة من الجاهلية إلى الإسلام[٤]، ويبين في الفصل الأول (منهج الأنبياء في الإصلاح والتغيير) [٥] وفيه يتحدث عن

(١) الندوي - ماذا خسر العالم ص٢٤، وانظر بعدها إلى ٧٧. الطبعة السادسة، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

(٢) السابق ص٦٦-٧٧.

(٣) انظر السابق ص٨٤.

(٤) انظر السابق ص٨٤-٩٨.

(٥) انظر السابق ص٧٨-٨٥.

(العالم الذي واجهه محمد ﷺ) [١] و (نواحي الحياة الفاسدة) [٢] و(لم يكن الرسول رجلاً إقليمياً أو زعيماً وطنياً) [٣] و(لم يبعث لينسخ باطلاً بباطل) [٤] و (قفل الطبيعية البشرية ومفتاحها) [٥].

ثم جاء الفصل الثاني (رحلة المسلم من الجاهلية إلى الإسلام) [٦] وفيه تناول (دفاع الجاهلية عن نفسها) [٧] و(في سبيل الدين الجديد) [٨] و(التربية الدينية) [٩] و (في مدينة الرسول ﷺ) [١٠] و (انحلت العقدة الكبرى) [١١] و(أغرب انقلاب وقع في تاريخ البشر) [١٢] و (تأثير الإيمان الصحيح في الأخلاق والميول) [١٣] و(الثابت أمام المطامع والشهوات) [١٤] و(الأنفة وكبر النفس) [١٥] و(الاستهانة بالزخارف والمظاهر الجوفاء) [١٦] و(الشجاعة النادرة والاستهانة بالحياة) [١٧] و(من الأنانية إلى العبودية) [١٨] و(المحكمات والبينات في الإلهيات) [١٩].

(١) انظر السابق ص٧٨.
(٢) انظر السابق ص٧٩-٨١.
(٣) انظر السابق ص٨١.
(٤) انظر السابق ص ٨٢.
(٥) انظر السابق ص٨٢- ٨٣.
(٦) انظر السابق ص٨٤-٩٨.
(٧) انظر السابق ص٨٤.
(٨) انظر السابق ص٨٥-٨٦.
(٩) انظر السابق ص٨٦.
(١٠) انظر السابق ص٨٦-٨٧.
(١١) انظر السابق ص٨٧-٨٨.
(١٢) انظر السابق ص٨٨-٨٩.
(١٣) انظر السابق ص٨٩-٩٠.
(١٤) انظر السابق ص٩٢.
(١٥) انظر السابق ص٩٢-٩٣.
(١٦) انظر السابق ص٩٣.
(١٧) انظر السابق ص٩٤-٩٥.
(١٨) انظر السابق ص٩٦-٩٧.
(١٩) انظر السابق ص٩٧-٩٨.

وفي الفصل الثالث يتناول (المجتمع الإسلامي) [١] في الموضوعات الآتية: (طاقة زهر) [٢] و (ليس منا من دعا إلى عصبية) [٣] و(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[٤] و(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[٥] و(حلول الرسول محل الروح والنفس من المجتمع)[٦] و(نوادر الحب والتفاني)[٧] و(عجائب الانقياد والطاعة) [٨].

ويعالج في الفصل الرابع (كيف حوّل الرسول خامات الجاهلية إلى عجائب الإنسانية)[٩]. وفي مطلع هذا الفصل يقول المؤلف: «بهذا الإيمان الواسع العميق، والتعليم النبوي المتقن، وبهذه التربية الحكيمة الدقيقة، وشخصيته الفذة، وبفضل هذا الكتاب السماوي المعجز، الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تخلق جدته، بعث رسول الله ﷺ، في الإنسانية المحتضرة، حياةً جديدة» [١٠] ويختم هذا الفصل بموضوع (كتلة بشرية متزنة) [١١].

وفي الباب الثالث يعرض (للعصر الإسلامي) [١٢] ويتناول في الفصل الأول (عهد القيادة الإسلامية) [١٣] وفي الفصل الثاني (الانحطاط في الحياة الإسلامية) [١٤] وفي الفصل الثالث (دور القيادة العثمانية) [١٥].

---

(١) انظر السابق ص٩٩-١٠٧ .
(٢) انظر السابق ص٩٩.
(٣) انظر السابق ص١٠٠ .
(٤) انظر السابق ص١٠٠-١٠١.
(٥) انظر السابق ص١٠١ .
(٦) انظر السابق ص١٠١-١٠٢ .
(٧) انظر السابق ص١٠٢-١٠٥ .
(٨) انظر السابق ص١٠٥-١٠٧
(٩) انظر السابق ص١٠٨-١١١ .
(١٠) انظر السابق ص١٠٨ .
(١١) انظر السابق ص١١٠-١١١ .
(١٢) انظر السابق ص١١٢-١٥٥ .
(١٣) انظر السابق ص١١٢-١٢١ .
(١٤) انظر السابق ص١٢٩-١٤٣.
(١٥) انظر السابق ص١٤٤-١٥٥ ثم يتناول في الباب الرابع (العصر الأوروبي) ص١٥٦-٢٥٧، وفي الفصل الأول تناول (أوروبا المادية) ص١٥٦-١٩٥، وفي الفصل الثاني تناول الجنسية الوطنية في أوروبا ص١٩٦-٢١٢، وفي الفصل الثالث تناول (أوروبا إلى الانتحار) ص٢١٣-٢٢٨، وفي الفصل الرابع (رزايا الإنسانية المعنوية في عهد الاستعمار الأوروبي) ص٢٢٩-٢٥٧.

ثم يأتي الباب الرابع ليتناول (العصر الأوربي)، وفي الباب الخامس، وهو الأخير، يتناول المؤلف (قيادة الإسلام للعالم)[١] ليتعرض في الفصل الأول إلى (نهضة العالم الإسلامي) [٢]. وفي الفصل الثاني إلى (زعامة العالم العربي)[٣] وفي هذا الفصل يتحدث عن (أهمية العالم العربي) [٤] وعن (محمد رسول الله روح العالم العربي) [٥].

ويلاحظ هنا أن المؤلف يبدأ كتابه بسيرة الرسول ﷺ، وما يتعلق بها، ثم يختم في هذا الفصل الأخير بالحديث عن الصلة بالرسول ﷺ، وسيرته، والدين والإيمان، ثم يعرض لموضوع (الإيمان هو قوة العالم العربي)[٦] و(تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية)[٧] وهنا يسجل قيام رسول الله ﷺ، وصحبه الكرام، بحق الجهاد في سبيل الإسلام، وأداء الرسالة، متحملين المتاعب والمصاعب، زاهدين في مطامع الحياة، عازفين عن الشهوات واللذائذ، بسبب برّ قلوبهم، وعمق علمهم، وقلة تكلفهم، وقوتهم على التضحية والإيثار [٨].

ثم يأتي آخر مبحث في هذا الكتاب بعنوان (إلى قمة القبلة العالمية)[٩] ليربط بين التطور الذي حدث في تاريخ العرب، وبعثة الرسول ﷺ، وقيادته العظيمة، التي أحدثت ذلك التطور، وقد أكرم الله العرب بتلك القيادة، لإخلاصهم في سبيل الدعوة، وتفانيهم في سبيلها، فأحبهم العالم، وعدتهم

(١) انظر السابق ص٢٥٨.
(٢) انظر السابق ص٢٥٨-٢٧٧.
(٣) انظر السابق ص٢٧٨-٢٩٨.
(٤) انظر السابق ص٢٧٨.
(٥) انظر السابق ص٢٧٩.
(٦) انظر السابق ص٢٨٠.
(٧) انظر السابق ص٢٨١.
(٨) انظر السابق ص٢٨١-٢٨٥.
(٩) انظر السابق ص٢٩٥-٢٩٨.

الأمم المفتوحة المنقذين من الضلال والجاهلية والوثنية، والقادة إلى الجنة، ومعلمي الحضارة. ثم يبين أبو الحسن أن الطريق لقيادة العالم مرة أخرى، ممهد ميسور، إنه «الإخلاص للدعوة الإسلامية، واحتضانها، وتبنيها، والتفاني في سبيلها، وتفضيل منهج الحياة الإسلامي، على جميع مناهج الحياة»[١]. وينهي أبو الحسن كتابه بفقرة أخيرة، يوجهها إلى العرب، مستنهضاً هممهم لأخذ زمام المبادرة والاتجاه إلى قيادة الإنسانية مرة أخرى، في طريق الهداية، التي اختارهم الله لقيادة العالم الإنساني نحوها[٢].

٢- «**المد والجزر في تاريخ الإسلام**، وقد استعرض في هذه المحاضرة، المطبوعة [٣]، حالة العرب قبل الإسلام، وصوّر ما كانوا عليه في الجاهلية من انحطاط وخمول، ثم ذكر الثورة المدهشة، والتغيّر الذي فاق التصوّر، وهو ما أحدثه الإسلام» في معتقداتهم وعقليتهم، وضميرهم، واستعداداتهم، ومواهبهم، وطموحهم وعزائمهم»[٤] ثم حاول «الدلالة على أسباب هذا التحول ومصدره، على لسان المؤرخين والناقدين الأجانب من غير المسلمين، وحل تلك اللغزة التي لا تزال تحيّر العقول، وتدهش العالم»[٥] وبعد أن استعرض تلك الأسباب الظاهرة التي اعتمد عليها المؤرخون الأجانب، يرد عليها، ويقرر» أن السبب الأصيل كان هو البعثة المحمدية -على صاحبها الصلاة والسلام- وتنفيذ المسلمين العرب للتعاليم الإسلامية، وقيامهم بها، وقوة الإيمان واليقين..»[٦].

---

(١) انظر السابق ص٢٩٥-٢٩٨.

(٢) انظر السابق ص٢٩٨.

(٣) نشرت أولاً في مصر، ثم نشرت في دمشق، والهند (انظر في مسيرة الحياة ١/١٧٣).

(٤) أبو الحسن الندوي في مسيرة الحياة ١/١٧٣.

(٥) انظر السابق.

(٦) انظر السابق.

٣- **كتاب «الطريق إلى المدينة»** [١] واحتوى هذا الكتاب على العديد من المقالات والموضوعات التي تجعل من الرسول ﷺ، وموطنه، ورسالته محوراً لها، وقد جاءت على النحو الآتي: (الكتاب الذي لا أنسى فضله، محمد إقبال في مدينة الرسول ﷺ، وفود الأمة بين يدي نبيها ﷺ، من غار حراء، ميلاد عالم جديد، في مهد الإسلام، البعثة المحمدية، صلة مسلمي العجم بالنبي العربي ﷺ، شعراء العجم في مدح سيد العرب والعجم) وقد لقي الكتاب قبولاً عظيماً، وأعجب به عدد من العلماء والأدباء، وأبدوا تأثرهم العميق بما جاء فيه، وكان له فضله في إشعال جذوة الإيمان والحب للرسول ﷺ، وقد ذكر المؤلف ذلك في مقدمته مبيناً أن» تلك قيمة الكتاب» [٢] وقد صوّر الكاتب الإسلامي الشيخ علي الطنطاوي تأثره العميق بهذا الكتاب، وقدرة كاتبه الفائقة على التعبير في براعة وتوفيق، وذلك حين قال: «لقد كدت أفقد ثقتي بنفسي، ولكني لما قرأت كتابك يا أخي أبا الحسن «الطريق إلى المدينة» أحسست بالشوق يعود فيعتلج بنفسي، فعلمت أن قلبي ما خلا من جوهر الحب، ولكن هموم العيش وطول الألفة، قد غطيا جوهره بالغبار، فأزاح كتابك عن جوهره الغبار...إلخ» [٣].

٤- **كتاب «قصص النبيين للأطفال»** وهو في خمسة أجزاء، وكان الجزء الخامس من هذه السلسلة عن (سيرة خاتم النبيين للأطفال) [٤] وقد التزم في كتابته بأمور منها تبسيط القصص، وعرضها بطريقة مقبولة لدى الطلاب، تحبب إليهم الإيمان، وترسخ العقيدة، وتعمّق في نفوسهم عظمة النبي ﷺ.

---

(١) ظهرت الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥هـ ثم ظهرت الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠، وقد نقل إلى اللغات التركية، والأردية، والهندية، والإنجليزية، (انظر مقدمة المؤلف ص٥).

(٢) أبو الحسن الندوي؛ الطريق إلى المدينة ص٥.

(٣) تقديم الشيخ الطنطاوي ص١٠.

(٤) ظهر بالعربية والأردية والفرنسية والإنجليزية وجاءت الطبعة العربية في ٣٥٥ صفحة وقد طبع عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) وكانت طبعته الأخيرة عام ١٤١٥هـ نشر مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء - الهند - ومؤسسة الرسالة - بيروت.

٥- «**فضل البعثة المحمدية على الإنسانية**» باللغة العربية [١].

٦- «**في ظلال البعثة المحمدية**» باللغتين العربية والأردية [٢].

٧- «**صورتان متضادتان لنتائج جهد الرسول الأعظم والمسلمين الأوائل**» باللغات العربية، والأردية، والإنجليزية [٣].

٨- «**النبي الخاتم**» بالعربية والإنجليزية [٤]. وفيه مقال «القدوة الدائمة للأجيال البشرية كلها، وكيف أمكن ذلك».

٩- «**النبي الخاتم والدين الكامل**» بالعربية والأردية [٥].

١٠- «**النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**» بالعربية والأردية والإنجليزية [٦].

١١- «**كيف دخل العرب التاريخ**» بالعربية [٧].

١٢- «**كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز والجزيرة العربية**» بالعربية والأردية [٨].

١٣- «**دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية**» [٩].

١٤- «**رسالة سيرة النبي الأمين إلى إنسان القرن العشرين**» بالعربية [١٠].

١٥- «**روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة**» بالعربية والأردية [١١].

---

(١) وجاء في (٤٥) صفحة ونشره المجمع الإسلامي العلمي - الهند.
(٢) وجاء في (١٦) صفحة ونشره المجمع الإسلامي - الهند سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
(٣) وجاء في (١١٦) صفحة، ونشره المجمع الإسلامي العلمي -لكهنؤ- الهند، ودار الصحوة بالقاهرة سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
(٤) نشره المجمع الإسلامي العلمي - الهند، سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
(٥) نقله من الأردية إلى العربية، نور عالم أميني الندوي ونشره المجمع الإسلامي بالهند.
(٦) وطبع عدة طبعات ونشره المجمع الإسلامي العلمي - الطبعة الثالثة، عام ١٣٨٧هـ.
(٧) جاء في (٢٧) صفحة ونشره المجمع الإسلامي العلمي - الهند سنة ١٤٠٠هـ/، ١٩٨٠
(٨) جاء في (١٤٥) صفحة، نشره المجمع الإسلامي العلمي الهند، الطبعة الثانية ١٤١١هـ/١٩٩١م.
(٩) نقلها إلى العربية من الأردية الأستاذ نور عالم الأميني الندوي، ونشرت في المختار الإسلامي- القاهرة.
(١٠) جاء في (٣٤) صفحة، نشر دار الحراء للكتاب - المحلة الكبرى - مصر.
(١١) جاء في (١٢٧) صفحة، دار القلم، الكويت الطبعة الثامنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٦- «**جوانب السيرة المضيئة في المدائح النبوية الفارسية والأردية**» بالعربية[١]، ونوه بما جاء في هذه المدائح من فضل الإسلام، وآثار البعثة النبوية. ومظاهر تلك الآثار في العقيدة، والأخلاق، والحضارة، والعلوم، وواقع العالم البشري، وبين ما لتلك الأشعار الفارسية والأردية من قيمة في مكتبة السيرة النبوية، وأثر عميق في شعور أهل تلك البلاد وذوقهم، على بعدهم عن مهد الإسلام ومبعث رسوله، عليه أفضل الصلاة والسلام[٢].

١٧- «**حديث الغرب؛ قصة الأمة الراقية مع رسالات الأنبياء**»[٣] وجاء في كلام المؤلف: «نظرات الحكمة الإلهية إلى أهل الأرض عربهم وعجمهم، فاصطفت لنشأة العالم الثانية الأمة العربية، ولم تكن دونهم الأمم الوثنية الأخرى في عبادة الأصنام، وانحطاط الأخلاق، غير أنها لم تلحقها عدوى المدنية المصطنعة، والحضارة المزورة، والرذائل التي تأتي بها الحكومات، وتحملها العبودية السياسية والروحية»[٤].

١٨- «**نبوة تتحدى ومعجزة تتحقق**»[٥].

١٩- «**فضل البعثة المحمدية على الإنسانية ومنحها العالمية الخالدة**»[٦].

٢٠- **كتاب «السيرة النبوية»** وهو الكتاب المستقل الذي أفرده للسيرة النبوية وسيأتي الحديث عنه مفصلاً في الفصل القادم، إن شاء الله.

---

(١) ألقاها في ندوة علمية عن المدائح النبوية، نظمها مكتب رابطة الأدب الإسلامي في الهند، في رحاب جامعة كاشف العلوم الواقعة في جامع أورنك آباد في المدة من ٢٥-٢٧ من صفر سنة ١٤٠٩هـ/٧-٩ أكتوبر ١٩٨٨م.

(٢) انظر الندوي ؛ في مسيرة الحياة ٢/٢٣٤.

(٣) مقال للمؤلف نشر في اللغة الأردية والإنجليزية ونقله إلى العربية الأستاذ عبد الله عباس الندوي.

(٤) أبو الحسن الندوي؛ حديث مع الغرب ص٩١، ٩٢.

(٥) مقال للمؤلف نشر في مجلة البعث الإسلامي، العدد الرابع، المجلد الخامس عشر، رمضان، ١٣٩٠هـ، نوفمبر ١٩٧٠م.

(٦) محاضرة ألقاها المؤلف في ١٣٩٥/٤/٢٠/ ١٩٧٥/٥/٢م، في قاعة المحاضرات الكبرى بمدينة لكهنؤ - الهند، ونقلها إلى العربية الأستاذ محمد الحسني، رئيس تحرير مجلة «البعث الإسلامي» وقد جعلها المؤلف الفصل الأخير في كتابه «السيرة النبوية».

الفصل الثاني

كتاب «السيرة النبوية»

تهيب الكتابة في السيرة:

على الرغم من أن أبا الحسن ظل يمتح من معين السيرة النبوية في كل كتاباته، وظل ينطلق من أفكارها ويستهدي بتوجيهاتها، ودروسها وعبرها، في مؤلفاته ومحاضراته، وأحاديثه بصورة مباشرة، وغير مباشرة؛ إلا أنه كان يتهيب الكتابة في موضوع السيرة النبوية كتاباً مستقلاً، يتوسع فيه، ويفصل الحديث[١].

وكان من أسباب ذلك التهيب، كما صرح بذلك الشيخ أبو الحسن، إحساسه بضيق الوقت، وضعف البصر، «ولأنه جرّب أن كتابة سيرة لعظيم من العظماء، فضلاً عن نبي من الأنبياء، فضلاً عن سيد الأولين والآخرين، وأشرف المرسلين، من أصعب الموضوعات، التي يعالجها المؤلفون وأدقها، وقد مارس موضوع تأليف السير والتراجم للشخصيات المشهورة وأعلام المسلمين من القدماء والمحدثين والمعاصرين عملياً، فقد اشتغل بكتابة السيرة، وحياة العظماء من أئمة المسلمين وقادتهم، والمصلحين والعلماء الربانيين، بعدما شب عن الطوق، وأمسك القلم، وعرف الكتابة، وقد كتب بقلمه آلافاً من الصفحات، في سير هؤلاء العظماء، وعاش بين التراجم والسير منذ الصغر، فقرأ منها الكثير، وكتب منها الكثير، ومن هنا عرف دقة هذا الموضوع، وضخامة هذه المسؤولية»[٢].

---

(١) انظر: أبو الحسن الندوي؛ السيرة النبوية ص١١ .

(٢) السابق ص١١.

وكان من جوانب صعوبة الموضوع في نفسه، أن من المؤلفين « من تغلب عليه نزعة أو اتجاه خاص، فيُخضعُ له من يترجمه؛ من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر، فتأتي كتابته صورة لعقليته وعاطفته، ممثلة لاتجاه خاص، كان يسيطر على مؤلف الكتاب، ومنهم من يريد أن يصور أحد العظماء فيصور نفسه، ويريد أن ينظر إليه نظرة مجردة فيبدأ ينظر إليه من خلال ميوله، وتجاربه، ووجهة نظره، ويسلط عليه مقاييسه الخاصة [١].

لكل ذلك كان الشيخ يتهيب الكتابة في موضوع السيرة، ويستعظم التأليف فيها، ويستصغر نفسه [٢]، وذكر أن عدداً من الفضلاء وكرام أصدقائه، حدثوه بأن يقوم بتأليف كتاب في «السيرة النبوية» في اللغة العربية، يراعي فيه عقلية الجيل وذوقه، ومستوى فهمه ونفسيته، وما جدّ من طلبات وحاجات [٣].

ولكن الله شرح صدر الشيخ أخيراً لتأليف كتاب في السيرة، فعكف على هذا الموضوع، وعاش فيه، يقرأ كتب السيرة الشريفة، والحديث النبوي، وكل ما يعن في هذا السبيل، مما كتب قديماً وحديثاً [٤].

هدفه من هذا الكتاب:

كان من أهداف الشيخ أبي الحسن، أن يحقق لنفسه سعادة ينشدها بهذا التأليف الشريف، وهي كما قال: « لينخرط في سلك المؤلفين النوراني في هذا الموضوع الحبيب الجليل» [٥] وأن يكون ذخراً للآخرة [٦]، وأن يكون «وسيلة لدراسة

(١) السابق ص١١.

(٢) انظر: الندوي؛ السيرة النبوية ص١٤.

(٣) انظر السابق ص ١٤، ١٥ وذكر الشيخ أن في مقدمة أولئك الأصدقاء، فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ومستشار وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية.

(٤) انظر السابق ص١٥.

(٥) الندوي؛ السابق ص١٠.

(٦) انظر السابق ص١٧.

هذه السيرة الطاهرة، والاستزادة فيها، والانتفاع بها، وكفى للمؤلف شكراً، وللكتاب قيمة، إذا أثار كامن الحب والإيمان في نفس مؤمن، وانجذاباً في قلب أحد من غير المسلمين إلى هذه المسيرة الطاهرة العطرة، وحملته على دراسة الإسلام وتفهمه»[١].

وكان يحس بأن السيرة يجب أن تتاح لأولئك الذين لم تسمح ظروفهم بالنشأة في البيئة المسلمة المؤمنة، وإنما ولدوا في بيئات غير إسلامية، يجب أن تتاح لهم الفرصة لأن تهب عليهم نفحات هذه السيرة العطرة [٢]؛ ومن هنا كان من أهداف كتابته للسيرة النبوية، أن يجعلها متاحة لغير المسلمين كذلك؛ ولهذا فقد نشر كتابه «السيرة النبوية» بعدة لغات هي العربية، والأردية، والإنجليزية.

منهجه في كتابة السيرة:

قبل تناول منهج الشيخ الندوي في كتابه السيرة النبوية، تجدر الإشارة إلى الفرق بين السيرة النبوية، والسير الأخرى؛ سواء أطلقنا عليها سيرة ذاتية، أو أدبية؛ فالسيرة الذاتية في الأصل هي السيرة التي يكتبها من كان موضوعها، وهو صاحبها نفسه [٣]، وقد يكتبها غير صاحبها، والسيرة الأدبية تتناول العواطف، كما تتناول الفكر؛ وهناك عواطف تفجّر عنها الإبداع الأدبي على حد تعبير «ليون إدل» [٤]، ولا يمكن أن نصرف النظر عن أن كاتب السيرة المطلقة (الأدبية -الذاتية) يتجه إلى تعرية الحقائق الخاصة بالموضوع كما يفهمها، ولن يكون ما يقدمه سوى رؤياه، وتصويره، وتنظيمه [٥]؛ لأن السيرة

---

(١) الندوي؛ السابق ص١٧.

(٢) انظر السابق ص٧.

(٣) انظر: جوج ماي؛ السيرة الذاتية ص١٦، تعريب محمد القاضي وعبد الله صولة، بيت الحكمة (المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، قرطاج - تونس ١٩٩٢م.

(٤) انظر: ليون إدل؛ فن السيرة الأدبية ص١٧، ترجمة صدقي خطاب، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر -القاهرة- نيويورك، ١٩٧٣م.

(٥) انظر السابق ص٢٠، ٢١.

هنا إنما هي «إعادة إخراج وإبراز ما تجمع في عقل المؤرخ، أو كاتب السيرة عن مواد لا حياة فيها عن طريق الكلمات في إطار أدبي، أو شبه علمي، وتاريخي، وهكذا يصبح عقل الكاتب هو الذي يرشده، والذي يستطيع أن يضع الحقائق عارية كما يفهمها»[١].

كما أن هناك فروقاً تتسم بها السيرة الذاتية عن السيرة تبدو في[٢]:

١- أنها لا تنتهي بموت الشخصية صاحبة السيرة.

٢- موادها ذاتية، ومنطقها شعري؛ بحيث لا تسير وفاق المنهج التاريخي القائم على المبادئ العقلانية؛ بمعنى أن كاتب السيرة مدار عمله في الأساس، قوامه مواد ذاتية، تنطلق من ذاكرته الخاصة.

٣- كاتب السيرة الذاتية، تنظم الوقائع في ذهنه، وفاق نسق يقطع مسار الزمن عكساً، فهو يرتب المادة عند عرضها ترتيباً لا يساير الترتيب الزمني المتسلسل، الذي يأخذ مساره متجهاً من الولادة إلى الموت، معتمداً في ذلك على الوثائق والبحوث، وهو المساق التاريخي في السيرة، الذي يرسم الصورة عبر الزمن؛ «أي أن الشخصية التي يرسمها كاتب السيرة تزداد معالمها وضوحاً كلما تقدمت في السن، أما كاتب السيرة الذاتية؛ فإن التقدم في السن عنده، لما كان تجربة معيشة، لا مبدأ من المبادئ المعتمدة في توضيح معالم الشخصية؛ فإنه يؤدي حتماً إلى الموت»[٣].

ومن هنا ندرك أن ما يقدمه الشيخ الندوي عن سيرة النبي ﷺ. ليس أبداً سيرة ذاتية، أو أدبية؛ وإنما هي كما عبر عنها «سيرة نبوية» تسير وفاق منطق التاريخ، يقص أحداثها، ويرتبها ترتيباً زمنياً.

---

(١) ليون إدل؛ فن السيرة الأدبية ص٢٢.

(٢) انظر: جورج ماي؛ السيرة الذاتية ص١٧٤-١٧٩.

(٣) جورج ماي؛ السيرة الذاتية ص١٧٩.

والشيخ وهو يكتب في سيرة النبي ﷺ، يعي هذا الجانب، ويعرف أنه يكتب «سيرة نبي من الأنبياء، مبعوث من الله، مؤيد منه، لا سيرة عظيم من العظماء، أو زعيم من الزعماء» [١] وهذا الوعي بهذا الجانب جعل الشيخ الندوي، يحس بضخامة مسؤولية الكتابة في سيرة النبي، ﷺ ، وعرف دقة الموضوع؛ وأن من المؤلفين من يخضعون من يترجمون له، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، لنزعات تغلب عليهم، أو اتجاهات خاصة بهم، فتأتي كتابتهم معبرة عن عقلياتهم، أو ممثلة لاتجاهات تسيطر عليهم، أو منطلقة من ميولهم ووجهات نظرهم [٢].

ولذلك فقد اعتمد المؤلف على الحوادث والواقع، وجعل مادة السيرة، هي التي تتحدث إلى قلوب القراء وعقولهم، أكثر من اعتماده على فلسفة الحوادث، وتعليل الأخبار، مكتفياً بأن السيرة النبوية «غنيّة بجمالها وروعتها، وسحرها على النفوس والعقول، ووقعها منها موقع القبول، من شفاعة شافع، وتدليل حكيم» [٣].

ولهذا قام، قبل أن يخوض في كتابه السيرة، بدراستها دراسة وافية متعمقة في مصادرها الصحيحة من كتب الحديث، ومدونات التاريخ الإسلامي المعتمدة، ويقول الشيخ الندوي عن هذا الجانب: فعكفت على هذا الموضوع، وعشت فيه أقرأ كتب السيرة، والحديث، وكل ما أستعين به في هذا الموضوع من القديم والحديث، وبدأت أكتب معتمداً على أصح ما كتب، وألف في هذا الموضوع، وكان أكثر اعتمادي على كتب الصحاح و«سيرة ابن هشام» و«زاد المعاد» لابن قيّم الجوزية، والسيرة النبوية لابن كثير، وهو ما جاء في كتابه الكبير «البداية والنهاية» [٤].

---

(١) الندوي؛ السيرة النبوية ص٥.
(٢) السابق ص١١.
(٣) السابق ص٦.
(٤) السابق ص١٥.

وهذه المصادر الصحيحة والكثيرة تعطي للسيرة النبوية ميزة تنفرد بها عن سير الأفراد كافة؛ بحيث تتيح لنا معلومات دقيقة وشاملة، تستوعب كثيراً جداً من دقائق حياة النبي، ﷺ، وتفاصيلها وملامحها وقسماتها، «ولم تحفظ كتب الآداب والتاريخ والأنساب، صفة أكثر منها دقة، وأعظم منها استيعاباً للملامح البشرية والدقائق الخَلْقية»[١] وهذا الجانب جعل من تأليف السيرة النبوية مهمة تتجاوز صعوبات كثيرة، يواجهها عادة مؤلفو سير العظماء والأبطال من مثل الغموض، والافتراض والقياس[٢]، كما أنها «مؤسسة على نصوص قرآنية، ووثائق تاريخية، ودقائق في الخَلقِ والخُلق، وتفاصيل العادات والعبادات، والأخلاق، والمعاملات، لا يتصور فوق ذلك، وهي أقرب إلى الحقيقة، والواقع قرباً، لا يتصور فوقه، ولا يطمع في أكثر منه»[٣].

ولكن المؤلف يعترف على الرغم من ذلك، بأنه يكاد يكون من المستحيل تصوير حياة النبي ﷺ، وأخلاقه، واستيعاب ما اشتملت عليه سيرته، ودعوته، وحياته، ومعاملته مع الله ومع الخلق[٤]، «وآيات الحسن والإحسان في تكوين خَلْقه وخُلُقه، في حبه ورأفته، وفي دعائه وابتهاله، وفي تألمه للإنسانية ومصيرها، وفي منطقه وحكمته، وفي جامعيته وكماله»[٥].

وهكذا التزم المؤلف بتاريخ السيرة الصحيحة، وكان أبرز ما عمله فيها، هو «جمال العرض وحسن الترتيب، وجودة التلخيص»[٦] ومعنى هذا أنه لا يتدخل في ملء مساحات من السيرة من عند نفسه، أو يوجه أحداثاً للتعبير

(١) السابق ص١٢، وانظر ص١٢.
(٢) انظر السابق ص١٢.
(٣) السابق ص١٣.
(٤) انظر السابق ص١٣، ١٤.
(٥) السابق ص١٤.
(٦) السابق ص٦.

عن أفكاره، ومفاهيمه، وإنما هي السيرة التاريخية الثابتة، تتحدث عن نفسها، وتعبّر عن مواقف صاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولكن يبقى للمؤلف منهجه، وطريقته، في العرض، والترتيب، والتلخيص، وتظل له لغته الخاصة، وأسلوبه في هذه اللغة.

ونستطيع تبيّن ملامح منهج الشيخ الندوي، وطريقته في كتابة «السيرة النبوية» بصورة سريعة وموجزة على النحو الآتي:

١- الأسلوب العصري؛ وذلك في عرض المادة التاريخية، بأن يتبع طريقة علمية، مستفيداً في ذلك من خير ما كتب في القديم والحديث؛ مما أسس على مصادر السيرة الأصيلة، والمطابق لما جاء في القرآن الكريم، وصح في السنة [١].

كما أنه لا يحشد المعلومات دون نقد وتمحيص، فهو يخضع المعلومات التي يسوقها للنظر، وينص على ذلك في مقدمته منتقداً «الأسلوب الذي اعتاده أكثر المؤلفين المتوسطين، والمتأخرين، وقليل من المؤلفين المتقدمين، والذي كان مثار كثير من التساؤلات التي برأ الله السيرة الكريمة منها، وأغنى المسلمين عنها» [٢].

ويشير المؤلف إلى أنه لا يتبع هذا الأسلوب تقليداً للاتجاهات العصرية من حيث هي اتجاهات عصرية، أو خضوعاً لكتابات المستشرقين، وأقوال المشككين، وإنما هو يفعل ذلك تمشياً «مع المقررات الدينية التي تفهم في ضوئها الكتب السماوية، وسير الأنبياء، والمعجزات، والأخبار الغيبية، قائماً على مبدأ أنه سيرة نبي من الأنبياء، مبعوث من الله» [٣].

---

(١) انظر السابق ص٥ .

(٢) السابق ص٥.

(٣) السابق ص٥ .

وهو في كل ذلك يكتب مراعياً عقلية الجيل الجديد، وذوقه، ومستوى فهمه، ونفسيته على حد تعبير المؤلف نفسه؛ دون أن يعني ذلك أنه يُخضع السيرة النبوية للأهواء، والأغراض، أو النظريات العلمية المتغيرة، أو يتأثر بالشبه والاعتراضات، التي تثار أحياناً بدوافع مختلفة من مثل تعصب ديني، أو جهل علمي، أو غرض سياسي [1].

ومن هنا فقد جاء الكتاب موجزاً بعيداً عن التفاصيل، وحشد المعلومات، وكان المؤلف يختار المحطات الكبيرة، والأحداث المهمة، في السيرة ليرصدها ويعرضها، فهو يتحدث عن العصر الجاهلي، ومكة زمن البعثة، ومن ولادة الرسول ﷺ، إلى البعثة، وبعد البعثة، والهجرة، وتصوير المدينة عند الهجرة، وفي المدينة، ومعركة بدر، وغزوة أُحُد، وغزوة الخندق، وغزوة بني قريظة، وصلح الحديبية، ودعوة الملوك والأمراء إلى الإسلام، وغزوة خيبر، وغزوة مؤتة، وفتح مكة، وغزوة حنين، والطائف، وتبوك، وعام الوفود، وحجة الوداع، والوفاة، والأخلاق والشمائل، وفضل البعثة المحمدية على الإنسانية، ومنحها العالمية الخالدة.

٢- اهتمامه بتصوير البيئة والعصر الذي ظهر فيه الإسلام، ولعل هذا أيضاً مظهر لمنهجه العصري، وأثر من استفادته من الدراسات الحديثة التي تهتم بالبيئة؛ والظروف السائدة، التي يبرز في جوها الحادث العام الكبير؛ ومن هنا تحدث عن العصر الجاهلي، وبخاصة بيئته الدينية عامة، في القرن السادس المسيحي، وكذلك تحدث عن جزيرة العرب قبل البعثة، ومكة زمن البعثة، وعند ظهور الإسلام، وقد اهتم جداً بهذا الجانب، واستغرق من كتابه (١١٠) من الصفحات.

(١) انظر السابق ص١٤.

وقد أبرز المؤلف أهمية الحديث عن هذه الموضوعات، وفصل الكلام عن ذلك في مقدمة كتابه، مبيناً أنه لا يسعه صرف النظر عن البيئة، وأنه لا بد من وصف الجاهلية المهيمنة على العالم في القرن السادس المسيحي، وما كان عليه ذلك العصر من فساد وانحطاط في جوانب مختلفة من الحياة، ثم كان لا بد من الحديث عن البلد الذي ولد فيه الرسول ﷺ، ومكانة هذا البلد ووعيه ومدنيته، وكذلك الحديث عن مهاجر الرسول ﷺ، وأصحابه [١].

٣- التوازن بين الجانب العلمي والجانب التربوي البلاغي؛ فالمؤلف حاول أن يجمع كتابه عن السيرة النبوية بين هذين الجانبين؛ بحيث لا يطغى جانب منهما على الآخر، وقد بدا الجانب العلمي، في عرضه للسيرة النبوية، العرض الأمين الموثق من المصادر التاريخية الأصيلة، وبدا الجانب التربوي في العرض البلاغي المؤثر، والصياغة الأدبية الرشيقة، التي هي القالب البياني لموضوعات السيرة والتاريخ، فاشتمل كتابه - على حد قول المؤلف نفسه- «على أكبر مقدار من القطع النابضة الدافقة بالحيوية والتأثير، الآسرة للقلوب والنفوس، التي لا يوجد نظيرها في سيرة إنسان، ولا في تاريخ فرد أو جيل، أو دعوة أو دين؛ وذلك كله من غير تنميق، أو تلوين، أو تحبير، أو تحسين؛ فجمال الطبيعة والحقيقة، لا يحتاج إلى تجميلات خارجية، أو تزيينات صناعية» [٢].

واهتمام المؤلف بهذين الجانبين، يتفق تماماً مع مهمته الأساسية الملازمة للشيخ أبي الحسن الندوي وهي الدعوة، وبيان مزايا هذا الدين، وتقريبه إلى الناس، وتقريب الناس إليه، بما فيه من جمال ذاتي، وجمال أدبي بلاغي.

---

(١) انظر السابق ص٧-١٠.

(٢) السابق ص١٦.

٤- تجاور العقل والعاطفة في الكتاب؛ بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، ولا يكون أحدهما على حساب الآخر، والندوي يكتب بعاطفة جياشة عن السيرة النبوية، عاطفة مدفوعة بحب عميق للرسول ﷺ، وإعجاب شديد بحياته النبوية الشريفة، التي هي مثال لكمال الشخصية البشرية، في روحها ونفسها وسلوكها وعاطفتها وتعاملاتها وإيمانها..إلخ.

ويستطيع القارئ، بكل سهولة، إدراك هذا العنصر الواضح في كتاب المؤلف؛ ولكنه على الرغم من ذلك استطاع أن يوازن في كتابه بين هذا الدفق العاطفي الإيجابي وبين البحث العلمي، ومتطلبات العقل السليم؛ ولا يغيب عنه، أنه يكتب هذه السيرة للجميع؛ للمؤمنين إيماناً قوياً، ولمتوسطي الإيمان، ولغير المؤمنين الذين يطمح المؤلف أن يدركهم لطف الله بسبب نفحة من هذه السيرة النبوية، ومن هنا فهو يكتب بمنطق سليم، ليستدرج بذلك أهل العقول والمنطق السليم للدخول في رحاب الإيمان؛ وقد أوضح المؤلف هذه المسألة في منهجه في مقدمة كتابه في قوله:» ثم يتجلى فيه العقل والعاطفة جواراً بجوار، فلا يكون فيه البحث العلمي، والنقد التحليلي، على حساب العاطفة والحب والإيمان، الذي لا بد منهما في تذوق السيرة والاستفادة منها، وفهم قضاياها وأحكامها، وحوادثها؛ فإنه إذا تجرد الكاتب من العاطفة والحب والإيمان، كان خشبياً مصنوعاً، لا حياة فيه، وكذلك يجب ألا يكون العنصر العاطفي العقائدي على حساب المتطلبات العقلية السليمة، التي نماها هذا العصر بصورة خاصة وعلى حساب المنطق السليم، الذي لم يتجرد منه عصر من العصور، فيكون كتاب عقيدة وتقليد فحسب، لا يطيق قراءاته، ولا يسيغ ما جاء فيه إلا الأقوياء في الإيمان، والراسخون في الإسلام، من الذين نشؤوا في بيئة دينية خالصة لا شأن لها بالعالم الخارجي، وبالثقافة العصرية، وذلك وإن كانت موهبة من الله، فإن سيرة نبي أرسل إلى الناس كافة، وأرسل رحمة

للعالمين، لا يجوز أن تجعل مقصورة على هذه الطبقة السعيدة المؤمنة، محجورة على من لم تسمح ظروفهم بالنشوء في هذه البيئة المسلمة المؤمنة، وأرادت حكمة الله أن يولدوا في بيئات غير إسلامية، ثم يدركهم اللطف الإلهي، وتهب عليهم نفحة من نفحات هذه السيرة العطرة، فينتقلون بقوتها وجاذبيتها إلى حظيرة الإيمان ومعسكر الإسلام، وليس حق غير المسلمين على هذه السيرة، وحظهم فيها أقل من حق المسلمين، الذين نشؤوا في ظلال الإيمان والإسلام، حاجة المريض إلى الدواء أكثر من حاجة السليم، والقنطرة يحتاج إليها من يعيش وراء النهر، أكثر مما يحتاج إليها من يعيش دونه»[١].

٥- التحليل والتعليق، والتوجيه، والمقارنة، والاستنتاج؛ وهذه الجوانب تعد أثراً لثقافة الندوي الإسلامية، العميقة، ومنهجه الدعوي، القائم على فكر منطقي، ونظرة موضوعية؛ فهو أحياناً يحلل بعض الموضوعات، ويعلق على ذلك؛ من مثل تحليله للعصر الجاهلي، وبخاصة فيما يتصل بالوضع الديني في القرن السادس المسيحي[٢]، وتحليله للوضع المعقد الذي واجهه الرسول ﷺ، في مدينة يثرب [٣]، وتعليقه على أهمية معركة بدر [٤] وكيفية تحول صلح الحديبية إلى الفتح والنصر [٥]، وحديثه عن الحب النبوي، والعاطفة الإنسانية لدى الرسول ﷺ [٦]، وكيفية انقلاب العدو محباً، والماجن تقياً [٧]، وبيان أثر غزوة تبوك النفسي وسببه [٨]، ووقفته القصيرة عند تعدد الزوجات [٩]،

(١) السابق ص٦، ٧.
(٢) انظر السابق ص١٩ وما بعدها.
(٣) انظر السابق ص ٢١٦ .
(٤) انظر السابق ص٢٤٠.
(٥) انظر السابق ص٣١٩.
(٦) انظر السابق ص٣٧٠.
(٧) انظر السابق ص٣٩١.
(٨) انظر السابق ص٤١٢.
(٩) انظر السابق ص٤٧٤.

وحديثه عن فضل البعثة المحمدية على الإنسانية، ومنحها العالمية الخالدة [١]، ولماذا بُعثَ النبي ﷺ، في جزيرة العرب [٢]، واستنتاج الحاجة إلى نبي مرسل [٣].

ويعقد المؤلف، أحياناً أثناء عرضه للسيرة مقارنات موضوعية؛ من مثل اختلاف ما بين المجتمع المكي، والمجتمع المدني [٤]، أو بين فارس الإسلام وفارس الجاهلية [٥]، أو روح التسامح الديني بين فعل الرسول ﷺ، بالنسبة لصحائف توراة اليهود، وفعل الرومان، حين تغلبوا على أورشليم [٦]، أو بين وثني جاهل، ونبي معلم [٧].

٦- الاستشهاد بالآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، وذلك بصورة كثيرة وشاملة، وهو أمر ملحوظ لقارئ الكتاب.

٧- وضع عنوانات دالة؛ وهذا منهج سار عليه المؤلف في كل مراحل الكتاب وأقسامه، وهي عنوانات تكشف عن الفهم العميق لروح السيرة النبوية الشريفة، وتوجز كثيراً من المعاني والمفاهيم الأصيلة والمعبّرة، المنطوية على العظة، والخلاصة، أو النتيجة التي يعبّر عنها الموضوع الذي وضع له المؤلف هذا العنوان، أو ذاك.

وهذه العنوانات ذات دلالة أخرى على ما يتمتع به الشيخ الندوي من حس لغوي، وقدرة أدبية في تعبيره العربي، عن المفاهيم والدلالات، ويعكس ما تتمتع به لغته من رشاقة الألفاظ، وسلامة العبارة، ودقة الاستخدام.

---

(١) انظر السابق ص٥٢٣-٦١٤.
(٢) انظر السابق ص٤٤.
(٣) انظر السابق ص٦٤.
(٤) انظر السابق ص١٩٥.
(٥) انظر السابق ص٢٨٧.
(٦) انظر السابق ص٣٥٨.
(٧) انظر السابق ص٤٣٨.

والقارئ يستطيع أن يحس بذلك عند قراءة بعض النماذج على سبيل المثال فيما يلي: ظلام مطبق ويأس قاتل [١]، فترة حالكة مؤيسة [٢]، الحاجة إلى نبي مرسل [٣]، مراكز عمران وحضارة [٤]، تنظيم حياة وتوزيع مناصب ومسؤوليات [٥]، أثرياء قريش ومترفوها [٦]، كبرى مدن الجزيرة وعاصمتها الروحية والاجتماعية [٧]، تباشير الصبح وطلائع السعادة [٨]، الحكمة البليغة في الدعوة والتعليم [٩]، من روائع الحب [١٠]، ولله جنود السموات والأرض [١١]، أدق لحظة مرت بها الإنسانية [١٢]، لا تحزن إن الله معنا [١٣]، نبوة لا يسيغها العقل المادي [١٤]، طلائع عداء اليهود [١٥]، تجاوب الأنصار وتفانيهم في الطاعة [١٦]، أمرهم شورى بينهم [١٧]، الرسول القائد [١٨]، هذان خصمان اختصموا في ربهم [١٩]، إخاء العقيدة فوق إخاء الولادة [٢٠]، روائع من الحب والفداء [٢١]، أحب إلى النفس من النفس [٢٢]، من يمنعك مني [٢٣]، الحكمة ضالة المؤمن [٢٤]. روح المساواة والمواساة بين المسلمين [٢٥]، نور الفتوح الإسلامية في ظلام الحصار والشدة [٢٦].

---

(١) انظر السابق ص ٤٢ .
(٢) انظر السابق ص٦٠.
(٣) انظر السابق ص٦٤ .
(٤) انظر السابق ص٧١.
(٥) انظر السابق ص٩٧ .
(٦) انظر السابق ص١٠٣.
(٧) انظر السابق ص١٠٧ .
(٨) انظر السابق ص١٣٠.
(٩) انظر السابق ص١٣٨ .
(١٠) انظر السابق ص١٨٩.
(١١) انظر السابق ص١٩٠ .
(١٢) انظر السابق ص١٩١.
(١٣) انظر السابق ص١٩١ .
(١٤) انظر السابق ص١٩٣.
(١٥) انظر السابق ص٢٢٨ .
(١٦) انظر السابق ص٢٤١.
(١٧) انظر السابق ص٢٤٤ .
(١٨) انظر السابق ص٢٤٥.
(١٩) انظر السابق ص٢٤٨ .
(٢٠) انظر السابق ص٢٥٣.
(٢١) انظر السابق ص٢٦٣ .
(٢٢) انظر السابق ص٢٧٢.
(٢٣) انظر السابق ص٢٧٧ .
(٢٤) انظر السابق ص٢٨٠.
(٢٥) انظر السابق ص٢٨١ .
(٢٦) انظر السابق ص٢٨٣.

بين فارس الإسلام وفارس الجاهلية [١]، أم تحرّض ابنها على القتال والشهادة [٢]، ولله جنود السموات والأرض[٣]، جيش مؤمن تحت قيادة نبي[٤]، حب نبوي وعاطفة إنسانية [٥]، إيثار النبي على الآباء والأبناء[٦]، دخول خاشع متواضع لا دخول فاتح متعال [٧]، مرحمة لا ملحمة [٨]، الإسلام دين توحيد ووحدة [٩]، نبي المحبة ورسول الرحمة [١٠]، لا تميز في تنفيذ حدود الله [١١]، كيف انقلب العدو محباً والماجن تقياً [١٢]، في جنازة مسلم مسكين [١٣]، ابتلاء كعب بن مالك ونجاحه فيه [١٤]، بين وثني جاهل ونبي معلم[١٥]، الشوق إلى لقاء الله وتوديع الدنيا[١٦]، رقة الشعور الإنساني ونبل العاطفة[١٧]، أسوة كاملة وقدوة عامة [١٨]، إعلان فريد في تاريخ الرسالات والديانات [١٩]، ولادة عالم جديد وإنسان جديد [٢٠].

مدة تأليف الكتاب:

منذ أن عزم الشيخ على تأليف هذا الكتاب، وشرح الله صدره لتنفيذه عكف على العمل فيه، وأصبح شغله الشاغل، ما بين شوال ١٣٩٥هـ وشوال ١٣٩٦هـ، ولم يترك عمله فيه إلى موضوع آخر إلا مضطراً، وتخلل ذلك بعض الأوقات التي أمضاها مريضاً، أو في سفر إلى الشرق والغرب، فكانت المدة التي استغرقها منذ بداية عمله فيه إلى منتهاه سنة كاملة [٢١].

---

(١) انظر السابق ص٢٨٧ .
(٢) انظر السابق ص٢٨٨.
(٣) انظر السابق ص٢٨٨ .
(٤) انظر السابق ص٣٥٢.
(٥) انظر السابق ص٣٧٠ .
(٦) انظر السابق ص٣٧٥.
(٧) انظر السابق ص٣٨٢ .
(٨) انظر السابق ص٣٨٣.
(٩) انظر السابق ص٣٨٦ .
(١٠) انظر السابق ص٣٨٧.
(١١) انظر السابق ص٣٨٧ .
(١٢) انظر السابق ص٣٩١.
(١٣) انظر السابق ص٤٢١ .
(١٤) انظر السابق ص٤٢٢.
(١٥) انظر السابق ص٤٣٨ .
(١٦) انظر السابق ص,٤٥٦
(١٧) انظر السابق ص٥٠٣ .
(١٨) انظر السابق ص٥١٩.
(١٩) انظر السابق ص٥٢٣ .
(٢٠) انظر السابق ص٥٦٤.
(٢١) انظر السابق ص١٦ .

المساعدون للمؤلف:

ذكر المؤلف في مقدمته القيمة لكتابه «السيرة النبوية» [١] أنه شكر صديقين له فاضلين، قدّما له عوناً كبيراً في تأليف كتابه، ويعترف لهما بالجهد والفضل، هما فضيلة الشيخ «برهان الدين السنبهللي» [٢]، الذي أعانه «في تخريج الأحاديث والبحث عنها، والتحقيق في بعض ما جاء في كتب السيرة» [٣]، والآخر هو الأستاذ «محيي الدين أحمد» [٤] الذي قدّم للمؤلف مساعدة نفيسة تمثلت في دراسة المراجع الأجنبية.

كما ذكر المؤلف أنه بسبب عجزه عن الكتابة مباشرة، قد استعان كذلك ببعض الإخوان في الكتابة؛ إذ كان يملي عليهم وهم يكتبون، وذكر منهم الأخ «محمد معاذ الأندوري الندوي» والأخ «علي أحمد الكجراني الندوي» وذكر أيضاً أن الأخ الأستاذ «نور عالم الأميني الندوي» ساهم كذلك[٥]. كما أشار إلى فضل الأستاذ «محمد حسن الأنصاري» في وضع الخرائط التاريخية الجغرافية، التي زينت الكتاب، وزادت في قيمته، وأشار إلى فضل الأستاذ الدكتور «محمد شفيع» [٦]، وفضل قسم الجغرافيا في «جامعة عليكرة» في تحسين تلك الخرائط وإكمالها» [٧].

مكانة الكتاب:

نوّه الأستاذ «عبد الله بن إبراهيم الأنصاري» [٨] بقيمة هذا الكتاب، وبجهد مؤلفه الشيخ أبي الحسن الندوي، وأنه أحد الأفذاذ الأعلام الذين

---

(١) انظر السابق ص١٦، ١٧.

(٢) أستاذ الحديث والتفسير في دار العلوم ندوة العلماء.

(٣) الندوي؛ السيرة النبوية ص١٦، ١٧.

(٤) قام أيضاً بترجمة كتاب السيرة النبوية إلى اللغة الإنجليزية.

(٥) انظر: الندوي؛ السيرة النبوية ص١٧.

(٦) رئيس قسم الجغرافيا في جامعة عليكرة، ومساعد نائب رئيس الجامعة.

(٧) انظر: الندوي؛ السيرة النبوية ص١٠٧.

(٨) مدير الشؤون الدينية بقطر.

تعمقوا في دراسة السيرة وفهمها، وإتقان معالمها؛ ولهذا وقع اختيارهم على هذا الكتاب من كتب عديدة، تم استعراضها، وذلك لتقديمه للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بمناسبة المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية. وأثنى على براعة المؤلف في عرضه للسيرة، وإجادته في ذلك، واعتماده على مصادر السيرة الأصيلة الصحيحة [١].

موقعه بين الكتابات الحديثة عن سيرة الرسول ﷺ:

كتاب أبي الحسن في السيرة، يشبه بعض الكتابات الحديثة في السيرة، من حيث إنها تأريخ دقيق، وأمين يلتزم بالتاريخ، وتحرّي الدقة والتوثيق والروايات الصحيحة، والاعتماد على المصادر الأصيلة، كما نوه بذلك الأنصاري في صدر كتاب الشيخ الندوي، إلى جانب عاطفة المحبة العميقة لصاحب السيرة عليه أفضل الصلاة والسلام؛ فهو مثل كتاب «الرحيق المختوم» للشيخ «صفي الرحمن المباركفوري» [٢].

والكتاب يشبه بصورة أوضح كتاب «فقه السيرة» للشيخ «محمد الغزالي» رحمه الله، الذي تناول حياة الرسول ﷺ، بصورة حيّة تمزج بين العقل والعاطفة، وتبعث في وجدان المسلم توقير رسولهم الكريم ﷺ، وتحفزهم إلى السير على الطريق.. لإعادة مجد الإسلام [٣].

وقد تحدث «الغزالي» عن كتابه مبيناً هذا المنهج في تناوله للسيرة، وهو المنهج المشابه لمنهج الشيخ الندوي ومنحاه في عرضه للسيرة، يقول الشيخ

---

(١) انظر: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري؛ تصديره كتاب السيرة النبوية.

(٢) بحثه «الرحيق المختوم» فاز بالجائزة الأولى لمسابقة السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي، وطبع على نفقة «حمد بن محمد السعيدان» وصدرعن المكتب التعليمي السعودي بالمغرب - الرباط ١٤٠٠هـ/١٩٨٤م.

(٣) من مقدمة «عبدالله بن إبراهيم الأنصاري» مدير إدارة إحياء التراث الإسلامي، بدولة قطر التي صدر بها كتاب «فقه السيرة» ص٣.

«محمد الغزالي»: وقد بذلت وسعي في إعطاء القارئ صورة صادقة عن سيرة رسول الله ﷺ، واجتهدت في إبراز الحِكَم والتفاسير لما يقع من حوادث، ثم تركت للحقائق المجلوة أن (تعمل) في النفوس دون افتعال، أو احتيال، وقد استفدت من السير التي كتبها القدامى والمحدثون، استفادة حسنة [١].

فالمباركفوري، والغزالي، والندوي، ومن نحا نحوهم، اعتمدوا كتابة السيرة النبوية بأمانة وعلمية، إلى جانب إسباغ روح الحب والعاطفة القوية، واستهداف إحياء آثارها في النفوس، واستمداد القدوة والعبرة لمسيرة حياة المسلمين، فلا يغيب عن عملهم الإحساس بواجب الدعوة الإسلامية، وتوظيف كتابتهم في هذا السبيل.

ومن هنا فهي تختلف عن تجارب كتابية أخرى تناولت سيرة الرسول ﷺ وشخصيته الكريمة، وجعلتها موضوعاً لأقلامهم تأريخاً وتحليلاً وتعليلاً، من مثل كتابة الدكتور «طه حسين» في «على هامش السيرة»، وعباس محمود العقاد في «عبقرية محمد».

فأهداف هذه الكتابات ومنهجها يختلف عن كتاب الشيخ الندوي؛ فطه حسين، كان يهدف من كتابه الترفيه، والاستراحة، والمتعة الأدبية، ولم يقصد

---

(١) الغزالي؛ فقه السيرة ص٨ -٩ ثم يقول: « إن المؤرخين المحدثين يميلون إلى التعليل والموازنة، وربط الحوادث المختلفة في سياق متماسك، وذلك أحسن ما في طريقتهم.. والمؤرخون القدامى يعتمدون على حشد الآثار، وتمحيص الأسانيد، وتسجيل ما دق وجل من الوقائع والشؤون، وفي هذه المحفوظات الكثيرة، نفائس ذات خطر لو أحسن الاستشهاد بها، وإيرادها في مواضعها.. ولعلي هنا مزجت بين الطريقتين على نحو جديد، يجمع بلين ما في كلتيهما من خير، فجعلت من تفاصيل السيرة موضوعاً متماسكاً يشد أجزاءه روح واحد، ثم وزعت النصوص والمرويات الأخرى، بحيث تتسق مع وحدة الموضوع، وتعين على إتقان صورته، وإكمال حقيقته، وقصدت من ذلك أن تكون السيرة شيئاً ينمي الإيمان، ويزكي الخلق، ويلهب الكفاح، ويغري باعتناق الحق، والوفاء له، ويضم ثروة طائلة من الأمثلة الرائعة لهذا كله. إنني أكتب في السيرة كما يكتب جندي عن قائده، أو تابع عن سيده، أو تلميذ عن أستاذه، ولست كما قلت -مؤرخاً محايداً مبتوت الصلة بمن يكتب عنه. ثم إنني أكتب وأمام عينيّ مناظر قائمة من تأخر المسلمين العاطفي والفكري فلا عجب إذا قصصت وقائع السيرة بأسلوب يوحي من قُرب أو بعد إلى حاضرنا المؤسف، كلما أوردت قصة جعلتها تحمل في طياتها شحنة من صدق العاطفة، وسلامة الفكر، وجلال العمل، كي أعالج هذا التأخر المثير».

أن يكتب سيرة محققة [١]، والأستاذ فاروق خورشيد يقول عن كتاب على هامش السيرة: «هذا الكتاب ليس سيرة محققة، أريد بها العلماء، أو قصد بها أن تكتب للمؤرخين» [٢] وطه حسين يقول: «لأنني لم أرد بها العالم، ولم أقصد بها إلى التاريخ» [٣] فهو يكتب قصة يستلهم فيها التاريخ دون أن يقيد نفسه بعلمية التاريخ؛ بل أتاح لنفسه حريّة أدبية، تتجاوز قيود التاريخ، والحقائق الموثقة؛ فهو يقول: «وأحب أن يعلم الناس أيضاً أنني وسعت على نفسي في القصص، ومنحتها الحرية في رواية الأخبار، واختراع الحديث، ما لم أجد به بأساً، إلا حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبي، أو بنحو من أنحاء الدين؛ فإني لم أبح لنفسي في ذلك حرية ولا سعة، وإنما التزمت ما التزمه المتقدمون من أصحاب السيرة والحديث ورجال الرواية، وعلماء الدين» [٤].

والعقاد، أيضاً، بيّن أن كتابه «عبقرية محمد» ﷺ ليس كتاب سيرة نبوية:» فسيرى القارئ أن «عبقرية محمد» عنوان يؤدي معناه في حدوده المقصودة، ولا يتعداها فليس الكتاب سيرة نبوية جديدة، تضاف إلى السير العربية والإفرنجية، التي حفلت بها «المكتبة المحمدية» حتى الآن؛ لأننا لم نقصد وقائع السيرة لذاتها، في هذه الصفحات على اعتقادنا أن المجال متسع لعشرات من الأسفار في هذا الموضوع، ثم لا يقال إنه استنفد كل الاستنفاد؛ وليس الكتاب شرحاً للإسلام أو لبعض أحكامه، أو دفاعاً عنه، أو مجادلة لخصومه.. فهذه أغراض مستوفاة في مواطن شتى، يكتب فيها من هم ذووها، ولهم دراية بها وقدرة عليها، إنما الكتاب تقدير «لعبقرية محمد» بالمقدار الذي يدين به كل إنسان، وليس في قلب كل مسلم وكفى. محمد هنا عظيم؛ لأنه قدوة المقتدين

(١) انظر: طه حسين؛ على هامش السيرة ١/٩-١١، وانظر غازي التوبة، الفكر الإسلامي المعاصر ص ١٦٨ -١٧١.
(٢) فاروق خورشيد؛ محمد صلى الله عليه وسلم في الأدب المعاصر ٧٥-١٠٦.
(٣) طه حسين؛ على هامش السيرة ص٥.
(٤) طه حسين؛ على هامش السيرة ١/١١.

في المناقب التي يتمناها المخلصون لجميع الناس.. عظيم لأنه على خلق عظيم..» [١].

و «العقاد» في عبقرياته كلها ينطلق من نقطة عظمة الفرد نفسه، وتمجيد هذه العظمة، وهذا من تأثره ببعض الاتجاهات الفكرية التي تضخم الفرد، ومواهبه الخاصة [٢]، ويفسّر بها كل نجاحات الفرد؛ ومن هنا ابتعاده عن الحق في إرجاع نجاحات النبي ﷺ، كلها إلى «امتيازه الذاتي وإلى مواهبه الفطرية» على حد تعبير غازي التوبة، الذي يضيف أيضاً: ويتضح لنا هذا الابتعاد، إذا تناولنا -مثلاً- شرحه للجانب العسكري من «عبقرية محمد» ﷺ لأنه أوفر الشروح طولاً» [٣].

وهكذا يبقى كلٌّ من «على هامش السيرة» و«عبقرية محمد» ﷺ عملين أدبيين، شائقين، ممتعين، يعبّران عن مشاعر خاصة، وغايات أدبيّة، ونفسية خاصة؛ ولكنهما ليسا سيرة نبوية، تؤرخ لحياة الرسول ﷺ أو تكتب في ضوء حقيقة سيرة الرسول ﷺ، كما فعل الشيخ أبو الحسن الندوي، وفقه الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

الرباعية مساء الأحد ١٤١٦/١٢/٢٥هـ

وكتبه

محمد بن حسن الزير

---

(١) العقاد؛ عبقرية محمد ص ٨ . دار الهلال، مطابع مؤسسة دار الهلال.

(٢) انظر: غازي التوبة؛ الفكر الإسلامي المعاصر ص٢٢٧، وانظر: فاروق خورشيد؛ محمد ﷺ في الأدب المعاصر ص٤٢.

أستاذ جامعي من الجزائر. عمل في كلية الآداب في الجامعة الأردنية وجامعة صنعاء، وجامعة قطر.

(٣) انظر؛ غازي التوبة؛ الفكر الإسلامي المعاصر ص٢٢٧، ٢٣٠ . وانظر: د. حسين فوزي النجار؛ التاريخ والسير ص٨١.

المصادر والمراجع

- **جورج ماي:**

١- السيرة الذاتية، تعريب محمد القاضي، وعبد الله صولة، بيت الحكمة (المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات) قرطاج - تونس، ١٩٩٢م.

- **حسين فوزي النجار (دكتور):**

٢- التاريخ والسير، المكتبة الثقافية (١٢١) دار القلم بالقاهرة، ١٩٦٤م.

- **صفي الرحمن المباركفوري (الشيخ):**

٣- الرحيق المختوم، المكتب السعودي بالمغرب -الرباط (طبع على نفقة أحمد بن محمد السعيدان) ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- **طه حسين (دكتور):**

٤- على هامش السيرة، دار المعارف بمصر - القاهرة١٩٦٤م.

- **عباس محمود العقاد:**

٥- عبقرية محمد، دار الهلال، مطابع مؤسسة دار الهلال.

- **عبد الرحمن رأفت باشا (دكتور):**

٦- نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية - الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **غازي التوبة:**

٧- الفكر الإسلامي المعاصر - دراسة وتقويم، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/١٩٩٦م.

-فاروق خورشيد (و د. أحمد كمال زكي):

٨- محمد ﷺ في الأدب المعاصر، منشورات اقرأ، بيروت - لبنان، د.ت.

- ليون إدل:

٩- فن السيرة الأدبية، ترجمة صدقي خطاب، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه- القاهرة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - القاهرة - نيويورك، ١٩٧٣م.

- محمد الغزالي (الشيخ):

١٠- فقه السيرة، عني بطبعه ونشره خادم العلم، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، مطابع الدوحة الحديثة - الدوحة- قطر، ١٩٨٧م.

- الندوي؛ أبو الحسن علي الحسني:

١١- جوانب السيرة المضيئة في المدائح النبوية الفارسية والأردية، ألقاها الندوي في ندوة علمية عن المدائح النبوية، نظمها مكتب رابطة الأدب الإسلامي في الهند في جامعة كاشف العلوم في صفر ١٤٠٩هـ/ أكتوبر ١٩٨٨م.

١٢- حديث مع الغرب (مقال) نشر بالأردية، ونقله إلى العربية الأستاذ عبد الله عباس الندوي.

١٣- دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية، نقلها إلى العربية من الأردية الأستاذ نور عالم الأميني الندوي، ونشرت في المختار الإسلامي - القاهرة.

١٤- رسالة سيرة النبي الأمين إلى إنسان القرن العشرين، نشر دار الحراء للكتاب - المحلة الكبرى - مصر.

١٥- روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، دار القلم- الكويت، الطبعة الثامنة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٦- السيرة النبوية، منشورات المكتبة العصرية - بيروت - صيدا، عني بطبعه ومراجعته عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٧- صورتان متضادتان لنتائج جهد الرسول الأعظم والمسلمين الأوائل، نشره المجمع الإسلامي -لكهنؤ- الهند، دار الصحوة بالقاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م.

١٨- الطريق إلى المدينة، دار القلم، الطبعة الرابعة، دمشق -بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٩- في ظلال البعثة المحمدية، نشره المجمع الإسلامي - الهند، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٠- فضل البعثة المحمدية على الإنسانية، نشره المجمع الإسلامي العلمي- الهند ونقلها إلى العربية الأستاذ محمد الحسني، وألحقها المؤلف بكتاب السيرة النبوية.

٢١- قصص النبيين للأطفال، طبع عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، وطبعته الأخيرة عام ١٤١٥هـ، نشر مؤسسة الصحابة والنشر، ندوة العلماء - الهند، مؤسسة الرسالة.

٢٢- كيف دخل العرب التاريخ، نشره المجمع الإسلامي العلمي - الهند، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٣- كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز والجزيرة العربية- نشره المجمع الإسلامي العلمي- الهند، الطبعة الثانية ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٢٤- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الطبعة السادسة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٢٥- المد والجزر في تاريخ الإسلام (محاضرة) نشرت في مصر، ثم نشرت في دمشق والهند.

٢٦- نبوة تتحدى ومعجزة تتحقق (مقال) مجلة البعث الإسلامي- العدد الرابع، المجلد الخامس عشر، رمضان، ١٣٩٠هـ/نوفمبر ١٩٧٠م.

٢٧- النبوة والأنبياء في ضوء القرآن ، نشره المجمع الإسلامي العلمي -الهند، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ.

٢٨- النبي الخاتم. وفيه مقال: القدوة الدائمة للأجيال البشرية كلها، وكيف أمكن ذلك، نشره المجمع الإسلامي العلمي - الهند ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٢٩- النبي الخاتم والدين الكامل، نقله من الأردية إلى العربية نور عالم أميني الندوي.

- هاري إلمر بارنز:

٣٠- تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة. د. محمد عبد الرحمن برج، مراجعة د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

محتويات البحث

«السيرة النبوية في أدبيات الشيخ أبي الحسن الندوي»

تمهيد ٤٧٧

- أهمية تاريخ الإنسان ٤٧٧
- أهمية تاريخ الرسول ﷺ، بخاصة ٤٧٨
- الكتابة التاريخية والأدب ٤٧٩

الفصل الأول (الشيخ والسيرة) ٤٨٢

- لمحة عن حياته ٤٨٢
- اهتمامه بالعربية ٤٨٣
- علاقته بالسيرة ٤٩٠
- انفعاله بالسيرة ونظرته إليها ٤٩٧
- السيرة هي المادة الأولى لكتاباته ومحاضراته ٥٠١
- أجزاء من السيرة في مؤلفاته ٥٠٢

الفصل الثاني: (كتاب السيرة النبوية) ٥١٢

- تهيبه الكتابة في السيرة ٥١٢
- هدفه من هذا الكتاب ٥١٣
- منهجه في كتابة السيرة ٥١٤

obeikandl.com

١- الأسلوب العصري ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥١٨
٢- اهتمامه بتصوير البيئة والعصر ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥١٩
٣- التوازن بين الجانب العلمي والجانب التربوي والبلاغي ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥٢٠
٤- تجاور العقل والعاطفة في الكتاب ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥٢١
٥- التحليل والتعليق والتوجيه والمقارنة والاستنتاج ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥٢٢
٦- الاستشهاد بالآيات والأحاديث ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥٢٣
٧- وضع عنوانات دالة ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥٢٣
- مدة تأليف الكتاب ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥٢٥
- المساعدون للمؤلف ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥٢٦
- مكانة الكتاب ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥٢٦
- موقعه بين الكتابات الحديثة عن سيرة الرسول ﷺ ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥٢٧
- المصادر والمراجع ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥٣١
- محتويات البحث ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥٣٥

obeikandl.com